

التغني بالقرآن - لبيب السعيد

التغني بالقرآن

لبيب السعيد

(/1)

التغني بالقرآن (بحث فقهي تاريخي) بقلم لبيب السعيد الهيئة العامة للتأليف والنشر 1970

(1/1)

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة وإهداء الحمد لله حمدا طيبا طاهرا، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الكريم سيدنا محمد، ونسأله سبحانه أن يبارك لنا في القرآن العظيم، وأن يهدينا الصراط المستقيم.

وبعد، ف شهر رمضان هو عيد القرآن، ولعله بذلك أن يكون خير مناسبة يصدر فيها بحث يتصل بهذا الكتاب العظيم، وهذا لنور المبين وقد تعود هذا الضعيف أن يحترم قراءه، حتى في مجال ثقافته العامة، فلا يقدم لهم عملا لم يبذل له كل جهده وهو متواضع، وغاية طاقته وهي محدودة وهذا البحث على ضالة حجمه وعمومية مكتبته كبد

(3/1)

صاحبه في كتابته مشقة يرجو بعدها ألا يكون البحث مرسلا أو خديجا عاميا أو رخيصا * * *
وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه ذلك، ويصدر البحث في أيام لا يزال فيها الأم لفقد (جمال عبد الناصر) يفعل في ما يفعل بكل أبناء العروبة والإسلام: يعتصر قلبي، ويرمض جوانحي فليكن هذا البحث هدية مخلصه لروح القائد المجاهد المسلم الصالح، وليكن دعاء ضارعا إلى الله أن يقبل عن (عبد الناصر) أحسن ما عمل، وأن يزيده من فضله شعبان 1390 لبيب السعيد أكتوبر

1970

(4/1)

الفصل الأول الغناء في المجتمعات العربية والإسلامية - 1 - من الخصائص الأفتة في الشعوب العربية الإسلامية أنها تهوى - في كل مجالات حياتها - الألحان المطربة والنغمات المشجية: تهواها مرددة إياها، وتهواها مصغية إليها ومن العادات الملحوظة وذات الدلالة في هذه الشعوب أن الأطفال يغنون، والباعة إذ يروجون لبضائعهم يغنون، بل إن النساء حين يبكين موتاهن الأعزة يغنين - 2 - وقد عنيب الثقافة العربية الإسلامية بالغناء والألحان: ففي اللغة:

(5/1)

الغناء من الصوت ما طرب به...وقد غنى بالشعر، وتغى به...وغنى بالشعر، وغنى أياه...ويقال: غنى فلان يغى أغنية، وتغى بأغنية حسنة، وجمعها الأغاني...وغنى بالمرأة: تغزل بها غناه بها: ذكره إياها...وغنى الحمام، وتغى: صوت (1) وقال أبو العباس: ويقال إن الغناء إنما سمي غناء، لأنه يستغنى به صاحبه عن كثير من الأحاديث، ويفر إليه منها، ويؤثره عليها... (2) وصاحب (العين):

(1) انظر: ابن منظور: لسان العرب فصل الغين، حرف الواو والياء، ج 19 ص 376 و 377.
(2) انظر: ابن سيده: المخصص ج 13 ص 9 - باب الملاهي والغناء

(6/1)

اللحن من الأصوات: المصوغة الموضوعة، والجمع: الحان، ولحن (1) ولحن في قرأته: إذا غرد وطرب فيها بألحان (2) وهو ألحن الناس: إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء (3) وقال في (الصاح): التلحين: التخطئة وقال فيه...وهو ألحن الناس: إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء وقال ساجقلى زاده: وبالحملة، ان اللحن يجئ بمعنيين: (أحدهما) الخطأ في القراءات (والآخر) الصوت الحسن المطرب، وجمع - بكل من المعنيين - على لحن وألحان

(1) ابن سيده: نفس المرجع (2) ابن منظور: اللسان - فصل الام، حرف النون ج 17 ص 263
(3) نفس المرجع

(7/1)

والأول: هو ما ذكر في كتب التجويد، وانقسم إلى: جلى: وهو حرام بلا خلاف وخفى: وهو مكروه: بعضه تحريماً، وهو ما يعرفه عامة القراء، وبعضه تنزيهاً، وهو ما لا يعرفه إلا مهرة القراء (1) وتكلم ابن سيده عن (الطبقة) في الغناء، فقال: (...والطبقة حد مختار للصوت، وينبغي أن توضع الألحان فيما شاكلها من الأشعار: فمنها: ما يبكى ويرقق، وهو لما كان من الشعر في الغزل، والتشوق إلى الوطن، والبكاء على الشباب، والمرائي والزهد ومنها: ما يطرب، وهو لما كان في نعت الشراب، وذكر الإماء، والمجالس، والصبوح، والdsaكر. ومنها: ما يشوق وترتاح له النفس، مثل صفة الأشجار والزهر، والمنتزهات، والصيد

(1) رسالة في التغني واللحن ص 8 (مخطوطة لندنيا مصورة عن مخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية)

(8/1)

ومنها: ما يسر ويفرح، ويحث على الكرم، وهو لما كان في المديح والفخر، وصفة للمك. ومنها: ما يشجع، وهو لما كان في الحرب، وذكر الوقائع، والغارات، والأسرى، وغير ذلك وهذا كله يدعى غناء... الخ (1) - 3 - والمجتمع العربي الاسلامي - في احتفاله بالغناء وعنايته به - يقول في الغناء عبارات بليغة، منها: - غناؤه كالغنى بعد الفقر، وهو جبر للكسير - غناؤه يبسط أسره الوجه، يرفع حجاب الأذن، ويأخذ بمجامع القلب، ويحرك النفوس، ويرقص الرؤوس - فلان طبيب القلوب والأسماع، ومحى موات الخواطر والطباع، ويطعم الأذان سرورا، ويقده في القلوب نورا... الخ (2)

(1) ابن سيده: المرجع السابق (2) الحصرى: زهر الاداب ج 1 ص 615 (بتحقيق الجباوى)

(9/1)

- 4 - وعمر بن الخطاب كان يقول: الغناء زاد الراكب (1).
وكذلك كان عروة الزبير يقول: نعم زاد الراكب الغناء نصبا (2) وخوات بن جبير الصحابي كان في
ركب فيهم عمر ابن الخطاب، وأبو عبيدة بن الحراح، وعبد الرحمن ابن عوف، فغنى من بنيات
فؤاده، يعنى من شعره، حى كان السحر... (3) وأسامة بن زيد رؤى واضعا إحدى رجله على
الأخرى يعنى النصب (4) ويقول الزهري، وابن جريج، في تفسير قوله تعالى: (يزيد في الخلق ما
يشاء) (5): يعنى حسن

(1) انظر: لكتابي: التراتيب الادارية ج 2 ص 136 و 137.. (2) نفس المرجع، والنصب: الانشاد
بصوت رفيع (3) انظر نفس المرجع.
(4) نفس المرجع.
(5) سورة فاطر / 1

(10/1)

الصوت (1) وذكر يحيى بن كثير في قوله تعالى: (فهم في روضة يحسبون) (2): السماع في
الجنة (3)
وقاله الأوزاعي (4) وفي رواية: يلتذون بالسماع فيها (5) وورد في الخبر: ليس في خلق الله تعالى
أحسن صوتا من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل السموات صلاتهم وتسبيحهم (6)
وفي (الصحيح) عن بلال، أنه رفع عقيرته يسنشد شعرا (7)

(1) القرطبي: الجامع لاحكام القرآن ج 14 ص 320.
وانظر: الابشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف ج 2 باب 110 ص 176 - ط 1285 هـ
(2) سورة الروم / 15 (3) القرطبي: المرجع السابق ج 14 ص 12 (4) نفس المرجع (5) انظر:
احمد تيمور: الموسوعة التيمورية ص 148.
(6) نفس المرجع.
(7) الكتاني: المرجع السابق

(11/1)

وترويح بعض الأنصار فتاة لعائشة، فأهدتها إلى (قباة)، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أهديت عروسك؟ قالت: نعم قال: فأرسلت معها بغناء، فإن الأنصار يحبونه؟ قالت: لا قال: فأدركها يا زينب: امرأة كانت تغنى بالمدينة (1) وعن عائشة أن أبا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان له في أيام منى تغنيان وتضريان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد (2) وفي عرس رجل من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة، غنى مالك صاحب المذهب:

- (1) انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة ج 4 ص 221 والنويري: نهاية الارب ج 4 ص 139
(2) انظر: ابن حزم الظاهري: المحلى ج 5 ص 93 ط الميزية سنة 1349 هـ (بتحقيق احمد محمد شاكر)

(12/1)

سليمى أزمعت بينا فأين تقولها، أينا؟ (1) وثمة أبيات رقيقة لممر بن أبي ربيعة غناها ابن سريج، وذكر عمر بن بانه أن لحنها هو لملك وقال الهاشمي مثل ذلك (2).
وقد أورد النويري أن أبا على محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي سئل عن السماع، فقال: (ما أدري ما أقول فيه، غير أنى حضرت دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة 370، في دعوة عملها لأصحابه، حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية، وأبو القاسم لداركى شيخ الشافعية، وأبو الحسن بن طاهر ابن الحسن شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسن بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين، وصاحبه أبو بكر الباقلانى في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة

- (1) انظر: أبو الفرج الاصفهاني: الاغانى ج 2 ص 238 (2) انظر: المرجع السابق ج 10 ص 105

(13/1)

فقال أبو على: لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يغنى في حادثه يشبه واحدا منهم ومعهم أبو عبد الله غلام تام وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن، وربما قال شيئا فقل له: قل لنا شيئا فقال

لهم، وهم يسمعون: - خصلت أنا ملها في بطن قرطاس رسالة بعبير لا بأنفاس - - أن زر فديتك
لى من غير محتشم فأن حبك لى قد شاع في الناس - - فكان قولى لمن أدى رسالتها قف لى
لأمشى على العينين والراس - قال أبو على: فبعد أن رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى في هذه المسألة
بحظر ولا أباحة (1)

(1) نهاسة الارب ج ص 195 و 196

(14/1)

5 - وهذا المجتمع، في عنايته بالأنغام والموسيقى، يجمع علمها، ويبسر صعبها، وينظم شاعره
(1) هذين البيتين في أنغام الموسيقى: - رست وهوى بوسليك حسيني وحجاز وزنكلا وعراق والنوى
والبزرک مع زيرا فكن ده والاصبهان والعشاق (2) ويترجمون لواحد) خرج في فنون العلم إماما، وهو
عبد العزيز بن أبى الصلت الأشبيلي، فيقولون: (وأمتن علومه: الفلسفة والطب التلحين...) (3)
ويحددون في دقة، الشروط التي يجب على المغنى أن يستوفيهها في غنائه، فيقول ابن أبى اسرائيل
عن المحسن المصيب

(1) صفى الدين المحلى (2) الكنز المدفون ص 18، نقلا عن احمد تيمور: المرجع السابق ص
167 (3) المقرئ: نفح الطيب ج 1 ص 530، نقلا عن احمد تيمور المرجع السابق

(15/1)

من المغنين: هو الذى يشبع الأحنان، ويملاً الأنفاس، ويعدل
الأوزان، ويفخم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقوم الإعراب، ويستوفى النغم الطوال، ويحسن مقاطع
النغم القصار، ويصيب أحناس الإيقاع، ويختلس مواضع النبرات، ويستوفى ما يشاكلها من النقرات
(1) - 6 - وحتى الأوتار، أباح بعض الفقهاء سماعها، (لأنه لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها)
(2)، وقيل إن كل ما ورد في تحريمها غير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه (لا
خلاف بين أهل المدينة في إباحة سماعه) (3) وعمل أهل المدينة له عند المالكية حجيته وقيل:
(ومن الدليل على إباحتها أن ابرهيم بن سعد ابن ابرهيم بن عبد الرحمن بن عوف، مع جلالتة وققهه
وثقته - كان يفتى مجله، وقد ضرب بالعود، ولم تسقط

(1) انظر: النويري: نهاية الارب ج 5 ص 117 (2) النويري: امرج السابق ج 4 ص 143 (3)
نفس المرجع

(16/1)

عدالته بفعله عند أهل العلم، فكيف يسقط عدالة المستمع؟!، وكان يببالغ في هذا الأمر أتم مبالغة،
وقد أجمعت الأئمة على عدالته، واتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح وقد علم من
مذهبه إباحة سماع الأوتار والأئمة الذين رروا عنه أهل الحل والعقد في الآفاق إنما
سمعوا منه، ورووا عنه بعد اسماعهم غناءه، وعلمهم أنه يبيحه، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل، سمع
منه ببغداد، بعد حلفه أنه لا يحدث حديثا إلا بعد أن يغنى على عود... الخ (1)

(1) المرجع السابق ص 143 و 144

(17/1)

الفصل الثاني التغني بالقرآن في السنة - 1 - كان النبي صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن، ويرجع
صوته به أحيانا، كما رجع يوم الفتح في قراءته: (أنا فتحنا لك فتحا مبينا) (1)، وكانت صفة ترجيعه
- فيما حكى عبد الله بن مغفل - آ...آ...آ... ثلاث مرات (2) وظاهر أن هذا الترجيع كان اختيارا
لا اضطرارا، لهز

(1) سورة الفتح / 1 (2) البخاري: الصحيح - باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن
ربه، وأنظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ج 13 ص 441 و 442

(18/1)

الناقة له، وكما يقول ابن قيم الجوزية: (كان النبي يرجع في قراءته، فنسب الترجيع إلى فعله، ولو
كان من هز الراحلة

لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً (1) ويقول ابن عمر، في دعوى أن الترجيع كان لهز الناقة: (...وفيه نظر، لأن الظاهر أنه عليه السلام فعل ذلك قصداً، لسرور لحقه في ذلك اليوم، والترجيع ينشأ غالباً من السرور (2) - 2 - ويقول البراء: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بمن العشاء: (ولتين والزيتون (3))، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه (4) وعن جابر بن عبد الله، يقول: كان في كلام رسول الله

(1) زاد المعاد ج 1 ص 134 (2) ساجقلى زاده: المرجع السابق ص 30 (3) يقصد سورة التين (4) البخازى: الصحيح - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن... وانظر: ابن حجر العسقلاني فتح الباري ج 13 ص 445

(19/1)

صلى الله عليه وسلم ترتيل وترسيل (1) ولم يكن غريباً، ما دام النبي صلى الله عليه وسلم قد تغنى بالقرآن، أن يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) (2) وقد كان سفيان بن عيينة يقول في تفسير هذا الحديث: (أي من لم يتغن بالقرآن)، فقال الشافعي: (ليس هو هكذا، لو كان هكذا لقال: يتغانا، إنما هو يتحزن ويترنم به، وويقرؤه حدراً وتحزينا) (3) وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اللغوى المحدث يرى مثل رأى سفيان ابن عيينة، وكان يحتج ببيت الأعشى: وكنت امرأ زماً بالعراق عفيف المناخ طويل التغني (4) وكان يحتج أيضاً بقول عبيد الله بن معاوية ضمن أبيات:

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج 1 ص 97 (ط ليدن 1321) (2) رواه البخاري عن أبي هريرة، وراه أحمد في مسنده، وأبو داود، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في (المستدرک)، عن سعد بن أبي وقاص (3) أنظر السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج 2 ص 130 وبتحقيق الطناحى والحو) (4) ديوان الاعشى ص 22

(20/1)

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا (1) وكذلك احتج بأقوال أخرى منسوبة إلى ابن مسعود، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو عبيد: (ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة

علينا بذلك، إذ كان من لم يرجع القرآن فليس منه عليه السلام) (2) وقد ناقش المرتضى - في أماليه - ما قبل في تفسير ذلك الحديث، وانتهى إلى أن التغني هنا ليس التحنين والترجيح، وإنما هو على هذا الوجه: من لم يقرأ على القرآن فلا يتجاوزة إلى غيره، ولا يتعداه إلى سواه، ويتخذة معنى ومنزلاً ومقاماً فليس منا (3) وكذلك نأش ابن قيم الجوزية هذا التفسير، فروى أن ابن بطال قال: (...وقالت طائفة: التغني بالقران هو تحسين الصوت، والترجيح بقراءته، والتغني بما شاء من الاصوات واللحن، وأن هذا قول بن المبارك والنصر

(1) الكامل للمبرد بشرح المرصفي ج 3 ص 13 (2) أنظر: الشريف المرتضى: امالي المرتضى، أو غرر الفوائد ودرر القلائد ص 31 و 32 (3) ص 21 - 35

(21/1)

ابن شمیل (1) وأورد ابن القيم عمرين الخطاب كان يقول لأبي موسى الأشعري: ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى ويتلاحن (2) وينقل ابن القيم قول ابن جرير (3): الدليل على أن معنى الحديث تحسين الصوت والغناء المعقول الذي هو تحرين القارئ سامع قراءته، كما أن الغناء المعقول الذي يطرب سامعه - 2 - ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الترنم بالقران (4)، وفي رواية: (لم يأذن الله...)

(1) زاد المعاد ج 1 ص 191 (2) نفس المرجع (3) نفس المرجع ص 191 وما بعدها (4) رواه البخاري في باب قوله صلى الله عليه وسلم: (الماهر بالقران..)، ولفظه: (لم يأذن الله. (وأنظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ج 13 ص 444 و 445 ومسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح ج 2 ص 192 وسنن أبي داود، كتاب 8 باب 200 وسنن السائي، كتاب 11 باب 83 وسنن المدارمي، كتاب 2 باب 171، وكتاب 23 باب 33

(22/1)

ومعنى قوله: (يأذن): يستمع له، يقال: أذنت للشئ، آذن، أذنا، إذا استمعت له قال الشاعر: صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء أذنوا قال عدى بن زيد العبادي: أيها القلب، تغل بددن ان همى في سماع وأذن والأذان السماع (1) قالوا: ومعقول عند ذوى الحجمى أن الترتم لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه المترتم وطرب به (2)

قال الطبري: (وهذا الحديث من أبين البيان أن ذلك كما قلنا، قال: ولو كان كما قال ابن عيينة يعنى يستغنى به عن غيره لم يكن لذكر حسن الصوت والجهريه معنى والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذى هو حسن الصوت بالترجيع.

قال الشاعر: تغن بالشعر إذا ما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار وأما إدعا الزاعم أن (تغنيت) بمعنى (استغنيت)

(1) أنظر: الشريف المرتضى: المرجع السابق (2) ابن القيم: المرجع السابق ص 191

(23/1)

فأش في كلام العرب، فلم نعلم أحدا قال به من أهل العلم بكلام العرب.. الخ (1) ويقول الطيرى: فإن وجه بوجه التغني بالقرآن إلى هذا المعنى على بعده من مفهوم كلام العرب كانت المصيبة في خطئه في ذلك أعظم، لأنه يوجب من تأويله أن يكون الله تعالى ذكره لم يأذن لنبيه أن يستغنى بالقرآن، وإنما أذن له أن يظهر من نفسه لنفسه خلاف ما هو به من الحال، وهذا لا يخفى فساده (2) وقال: إن الاستغناء عن الناس بالقرآن من المحال أن يوصف أحد أنه يؤذن له فيه أو لا يؤذن، إلا أن يكون الأذن عند ابن عيينة بمعنى الأذن الذى هو اطلاق وإباحة، وإن كان كذلك فهو غلط من وجهين:

(أحدهما) من اللغة و (الثاني) من إحالة المعنى عن وجهه... الخ (3)

(1) نفس المرجع (2) نفس المرجع (3) نفس المرجع

(24/1)

- 3 - ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه... الخ (1) (الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن للصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيننة) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في

أبى موسى الأشعري: (لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة! لقد أوتيت زممارا من مزامير داود)، ورد أبو موسى: (لو عملت أنك تسمع لفراعتى لحبرته لك تحبيرا) (3) وفي ترجمة أبى موسى هذا، يقول ابن حجر العسقلاني: (...أحد قضاة الأمة الأربعة، وجامع العلم فما أوسع! المفرد بحسن للصوت، إذا قرأ كان زممار من مزامير آل داود معه)

-
- (1) رواه موسى بن أبى رباح ألبيه عن عقبه بن عامر، وأنظر: نفس المرجع ص 193 (2) قال الحاكم النيسابوري: حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك ج 1 ص 571)
- (3) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، واحمد، وأنظر حواش الجامع الصحيح لمسلم ج 2 ص 192 و 193 (ط).
استامبول)

(25/1)

وفى (تذكرة الحفاظ)، قال عنه الذهبي: (...إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن)، ونقل عن ابن الهندي: (ما سمعت طنورا ولا صنجا ولا زممارا أحسن من صوت أبى موسى الأشعري، كان يصلى بنا فنود أنه قرأ البقرة (1) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (زينوا القرآن بأصواتكم (2) ويقول: (لكل شئ حلية، وإن حلية القرآن الصوت الحسن) (3)

-
- (1) ج 1 ص 22 مط دار المعارف النظامية بالهند سنة 1333 هـ.
وأنظر: الكتاني: الترتيب الادراية ج 2 ص 425 و 426 (2) رواه احمد، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، ورواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، وزدا: (...فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا)
وأنظر: على القارى: مرقاة المفاتيح ج 2 ص 614 والحاكم النيسابوري: المستدرك ج 1 ص 571 والطيالسي مسند الطيالسي حديث 738 (3) عن انس بن مالك، واورده عبد الرزاق في (الجامع)، والمقدس في (المختار) وأنظر: ابن رجب: الليل على طبقات الحنابلة ج 1 ص 41 (بتحقيق حامد الفقى) سنة 1953
والمناوى: فيض القدير ج 5 ص 285

(26/1)

وعن عائشة، قالت: استبطأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال: ما حسبك؟ قلت: إن في المسجد لأحسن من سمعت صوته بالقرآن فأخذ رداءه وخرج يسمعه، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك (1) - 4 - وعن قتادة: ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الوجه، حسن الصوت، حتى بعث نبيكم صلى الله عليه وسلم حسن الوجه حسن الصوت... الخ (2)

(1) الذهبي: سير اعلام النبلاء ج 1 ص 122 وانظر: ابن قدامة المغنى ج 9 ص 179 ط.
المنار سنة 1367 هـ) وابن الامير: اسد الغابة ج 2 ص 245 و 246 وابن حجر: الاصابة ج 3 ص 57، وقال: رجاله ثقات (2) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج 1 ص 98 ط.
ليدين سنة 1321

(27/1)

الفصل الثالث التغني بالقرآن عند الصابة والتابعين وتابعيهم - 1 - وقد وعت كتب السنة، وكتب التراجم الإسلامية أن من الصحابة من كانوا يحسنون لصوت بالقرآن: 1 - كان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتا بالقرآن (1)
قال أسيد: (قرأت ليلة سورة البقرة، وفرس لى مربوط، ويحيى انبى مضطجع قريب منى، وهو غلام، فجالت الفرس، فقمتم وليس لى هم إلا انبى، ثم قرأت، فجالت الفرس،

(1) ابن الاثير: أسد الغابة ج 1 ص 92

(28/1)

فرفعت رأسي، فإذا شئ كهية الظلة في مثل المصابيح، مقبل من السماء، فهالني، فسكت.. فلما أصبحت، غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته فقال: إقرأ أبا يحيى فقلت: قد قرأت، فجالت، فقمتم ليس لى هم إلا انبى فقال لى: إقرأ أبا يحيى فقلت: قد قرأت، فرفعت رأسي، فإذا كهية الظلة فيها المصابيح، فهالني فقال: تلك الملائكة دنوا لصوتك، ولو قرأت حتى يصبح الناس ينظرون إليهم) (1)

(29/1)

2 - وعقبة بن عامر، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن (1)
3 وعلقمة بن قيس النخعي المتوفى سنة 62 هـ والذي سمع من علي، وعمر، وأبي الدرداء، وعائشة
كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، (وكان إذا سمعه ابن مسعود يقول: لو رآك رسول الله صلى الله
عليه وسلم لسريك (2) 4 - وعمر بن عبد العزيز كان حسن الصوت بالقرآن، فخرج ليلة، وجهر
بصوته، فاستمع له الناس، فقال سعيد ابن المسيب: فتنت الناس! فدخل (3) 5 - والشافعي صاحب
المذهب، والمتوفى سنة 204 هـ (كان يستفتح القرآن، فيتساقط الناس، ويكثر عجبهم بالبكاء من
حسن صوته، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة (4)

(1) اخرجه الثلاثة، وانظر: ابن الاثير: اسد الغابة معرفة الصحابة ج 3 ص 417 (2) ابن
الجزري: غاية النهاية ج 1 ص 516 (3) نفس المرجع ص 593 (4) أنظر: ابن شاکر الکتبی:
عيون التواريخ - الجزء من سنة 204 هـ الى 250 هـ ص 5 - مخطوطة مصورة بدار الكتب
والوثائق القومية رقمها 1495 تاريخ

(30/1)

6 - وحمزة أحد أئمة القراءات المتوفى سنة 156 هـ، حدث بعض جيرانه أنه لا ينام الليل، وأنهم
يسعون قراءته يرتل القرآن تريبلا (1)
7 - ويحيى بن وثاب المتوفى سنة 103 هـ، كان - فيما روى الأعمش - من أحسن الناس قراءة،
وكان إذا لم تحسن في المسجد حركة كأن ليس في المسجد أحد (2) 8 - وابن اللبان الذي وصف
بأنه (أحد أوعية العلم وأهل الدين والفضل)، (كان من أحسن الناس تلاوة للقرآن) (3) 9 - وأبو بكر
الضريير الواعظ المتوفى سنة 314 هـ (كان من حفاظ القرآن، حسن الصوت، وكان يقعد في
المجامع، ويقرأ بالألحان ويقع كلامه في القلوب (4) 10 - وابن شفيح الأندلسي المقرئ الحاذق
المجود،

(1) أنظر: الذهبي: طبقات القراء ج 1 ص 96 (بتحقيق محمد سيد جاد الحق) (2) أنظر: المرجع السابق ص 52 (3) السبكي: طبقات الشانعية ج 3 ص 207 (4) ابن الجوزي: المنتظم ج 6 ص 204

(31/1)

والمتوفى سنة 514 هـ (كان شيخا صالحا مجودا حسن الصوت بالقرآن) (1) 11 - ومحمد بن سعد بن سعيد العسال (كان من القراء المجودين الموصوفين بحسن الأداء..). (2) 12 - وعبد الله بن علي بن عبد الله البغدادي المولود سنة 464 هـ، قال عنه ابن الجوزي: (...ولم أسمع قارئاً أطيّب صوتاً منه، ولا أحسن أداء، على كبر سنه...الخ) (3) 13 - وسيط الخياط المتوفى سنة 541 هـ (كان أطيّب أهل زمانه صوتاً بالقران على كبر السن) (4) 14 - وأبو عمرو ابن عزيمة العبدوى الأشبيلي المتوفى سنة 585 هـ (كان (عذب الصوت...)) (5) 14 - وابن القبيطى المتوفى سنة 602 هـ (كان ممن جمع

(1) ابن الجزرى: غايه النهاية ج 1 ص 394 (2) ابن رجب: الدليل على طبقات الحنايلة ج 1 ص 113 (3) المرجع السابق ص 209 و 210 (4) ابن الجزرى: غايه النهاية ج 1 ص 434 و 435 (5) نفس المرجع ص 607

(32/1)

بين التجويد وحسن الأداء والصوت) (1) 16 - والمزrab المقرئ المجود المتوفى 703 هـ (كان صوته طيباً) (2) 17 - وخلييل بن عثمان بن عبد الرحمن المولود سنة في المحراب) (3) 18 - وعلى نور الدين الضرر المقرئ في باب الشعرية في القرآن التاسع، كان (طرى النغمة) (4) 19 - وأحمد بن محمد البلقى المولود سنة 796 هـ (كان حسن الصوت بالقران جدا) (5) 20 - ومحمد الغزى المقدم على سائر علماء القاهرة أيام السلطان الغورى، والمتوفى سنة 918 هـ (كان حسن الصوت

(1) نفس المرجع ص 264 (2) نفس المرجع ج 2 ص 191 (3) الضوه اللامع ج 2 ص 200

الترجمة 758 (4) نفس المرجع 6 ص 59 - الترجمة 177 (5) نفس المرجع ج 2 ص 102 -
الترجمة 309

(33/1)

جدا، لا يمل قراءته من صلى خلفه وإن أطال القراءة) (1) 21 - ومحمد الدكد سجمى من أعيان
الصوفية في القرن الثاني عشر) رزقه الله الصوت الحسن في الترتيل) (2)

(1) نجم الدين الغزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ج 2 ص 82 (2) محمد خليل
المرادى: سلك الدورفى أعيان القرن الثاني عشر ج 3 ص 35

(34/1)

الفصل الرابع التغني بالقران في الفقه والاجتماع - 1 - روى أن ابن عباس، وابن مسعود أجازا
القراءة بالألحان (1) وروى عن ابن جريح أنه قال: سألت عطاء عن قراءة القران على ألحان الغناء
والحداء، فقال: وما بأس ذلك يا ابن أخي؟ (2)
وروى أن أبا حنيفة باحها وجماعة (3)، أنه هو وأصحابه

(1) أنظر: ابن القيم: زاد المعاد ج 1 ص 135 (2) ابن عبد ربه: العقد الفريه ج 6 ص 9 (3)
ساجقلى زاده: رسالة في التغني واللحن ص 29

(35/1)

كانوا يستمعون إليها (1) وأن الشافعي رثى مع بعض أصحابه، يستمعون القراءة بالألحان (2) وقال
جمهور أصحابه ردا على من ذكروا أنه قال في موضع: أكره القراءة بالألحان، وفي آخر: لا
أكرهها: (ليست القراءة بالألحان على قولين عند الشافعي، بل المكروه أن يفرض في المد، وفي إشباع
الحركات، حتى يتولد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع
الإدغام، فإن ينته الى هذا الحد فلا كراهة) (3) وروى أن إجازة القراءة بالألحان هي اختيار ابن جرير

الطبري (4) وعبيد الله بن أبي بكرة، وكنيته أبو حاتم من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة، والذي ولى قضاء البصر، وأوفده الحجاج على الحليفة عبد الملك، فسأله أن يولى

(1) ابن القيم: زاد المعاد ج 1 ص 135 (2) نفس المرجع (3) ساجقلى زاده: المرجع السابق ص 29 (4) ابن القيم: المرجع السابق

(36/1)

الحجاج خراسان وكسجتان (1).. هذا القاضى السياسى هو أول من قرأ القرآن بالألحان، وكانت قراءته حزنا، أي فيها رقة صوت (2) وابن قدامة جعل القراءة من غير تلحين مقابل القراءة بتحسين الصوت، ولا يرى بأسا بقراءة القرآن من غير، تلحين ويقول: (...وإذن حسن صوته فهو أفضل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: زينوا أصواتكم بالقران) (3) ويقول النووي مأموداه أن اللحن إذا لم يخرج القرآن عن لفظه وقراءته كان مباحا لأنه زاده على ألحانه في تحسينه (4) وعبد الوهاب السبكي، يتحدث عن (القراء الذين يقرأون بالألحان) فلا ينعي عليهم أنهم يقرمون بالألحان، ولكنه ينبههم الى ما يجب أن يوجهوا إليه همتهم، ويتحدث

(1) ابن تغرى بردى: النجوم الزهرة ج 1 ص 202 (2) أنظر: ابن قتيبه: المعارف ص 523 وأنظر تفاصيل من تاريخ قراءته القرآن بالالحن في: لبيب السعيد: الجمع الصوتى الاول للقران الكريم ص 322 وما بعدها (3) المغنى ج 9 ص 179 وما بعدها (4) التبيان ص 55 و 56

(37/1)

ويتدبث عن حكم الوقف عليهم، ويوضح ما يكزن لهم (1) وهو يقول: (ومن شكر نعمة الله تعالى ذوى الأصوات الحسنة من القراء والمنشدين أن لا يستعملوا أصواتهم بالغناء الحرم، ومجالس الخمر والمنكرات، وليتجنبوا مقت الرب وغضبه تبارك وتعالى) (2) ونقل عن التوريشى - وهو من لمتأخرين - إن القراءة على الوجه اللذى يهيج الوجد في قلوب اليامعين ويورث الحزن، وبحلب الدمع مستحب ما لم يخرج التغني عن التجويد، فإذا انتهى الى ذلك عاد الإستحباب كراهية (3) ويقول مؤيد القراء بالحران في الرد على محرميها: (إن المحرم لا بد أن يشتمل على مفسده راجعة أو خالصة، وقراءة التطريب

والألحان لا تتممضن شيئاً من ذلك فإنها لا تخرج الكلام عن وضعه.
ولا تحول بين السامع وبين فهمه) (4)

-
- (1) بعيد النعم ومبيد النعم ص 110 (2) نفس المرجع (3) ساجقلى زاده: المرجع السابق ص 43
(4) ابن القيم: المرجع السابق ج 1 ص 126

(38/1)

ويقول: إن التطريب بقراءة القرآن أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاسماع والاصغاء إليه، فقيه تنفيذ
لفظه إلى الاسماع، ومعاينه إلى القلوب، وذلك عون على المقصود، وهو بمنزله الحلاوة الى تجعل
في الدو الإنتفذه إلى موضع الداء، وبمنزله الأفاويه والطيب الذى يجعل في الطعام، لتكون
الطبيعة أدعى له قبولا، وبمنزلة الطيب والتحلّى وتجل المرآة لبعلمها ليكون أدعى إلى مقاصد
النكاح) (1) ويقول أيضا: (انه لا بد للنفس من طرب، واشتياق الى الغناء، فعوضت عن طرب
الغناء بطرب الغناء بطرب القرآن، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير لهامنه، كما
عوضت عن الستقسام بالأزلام بالاستخارة الى هي محض التوحيد والتوكل، وعن السفاح بالنكاح،
وعن القمار بالمرهنة) (2) ويقول أبو سعيد الأعرابي في تفسير حديث: (ليس منا من لم يتغن
بالقران) كانت العرب تولع بالغناء والنشيد

-
- (1) نفس المرجع ص 193 (2) نفس المرجع

(39/1)

في أكثر أفعالها، فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون هجيراهم مكان الغناء، فقال: (ليس منا من لم يتغن
بالقران) (1) وفي المرويات الإسلامية عن ابن جريح، عن عطى ابن عبيد بن عمير، قال: كانت
لداود نبي الله صلى الله عليه وسلم معزفة يتغنّى عليها: بيكى وبيكى (2) قال ابن عباس: إن داود
كان يقرأ الزبور لسعين لحنا تكون فيهن ويقرا قراءة يطرب منها الجموع (3) وفي تفسير قوله تعالى:
(واتيسنا داود زبورا) (4) قالو: (فان أخذ في قراءة الزبور اجتمع إليه الإنس والجن والطيور والوحش،
لحسن صوته) (5)، وهذا مما يؤيد

غالبا أن الترنم مطلوب عند قراءة الكتب الدينية بعامة وفي التاريخ الحديث، وفي الثلاثيات من هذا

(1) القرطبي: الجامع لاحكام القرآن ج 1 ص 11 (2) نفس المرجع (3) نفس المرجع (4) سورة
النسب / 162 (5) القرطبي: المرجع السابق ج 6 ص 17

(40/1)

الميلادى بالذات، كان القارئ المشهور الشيخ محمد رفعت يشد الناس جميعا إلى قراءته المغنه.
تقول إحدى المجلات في عهده (1): (لاتكاد تقرب الساعة التاسعة من مساء يومى الجمعة والثلاثاء
من كل أسبوع، حتى تغص المقارئ بروادها، ويجتمع الناس حول جهاز الراد يوفى البيت والشارع،
والكل مرهف أدنيه في خشوع، لسماع تلاوة القرآن الكريم من المقرئ التابعه محمد رفعت... - 2 -
بيد أن في التاريخ الاسلامي أخبارا متناثره تفيد أن بعض المسلمين رفضوا منذ قديم قراءة القرآن
بالالحن ومما يحتج به هولاء (2): 1 - حديث: (اقرأ القرآن بلحون العرب، وإياكم

(1) مجلة كل شى والدنيا عدد 554 في 27 من ربيع الاول 255 هـ (2) انتفعنا هذا كثيرا من
لييب السعيد: المرجع السابق الباب الثاني - الفصل الاول ص 309 - 350 وأنظر هناك تفاصيل
كثيرة في هذا الموضوع

(41/1)

ولحون أهل الفسق والكبائر، فانه سيجئ أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية
والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونه قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم) (1) 2 - وقد أنكر التطريب
بالقران أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء قارى فقرأ وطرب، وكان رفيع
الصوت، فكشف أنس عن وجهه، وكان الى وجهه خرقة سوداء، فقال له: يا هذا! هكذا كانوا يفعلون
وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الحرقه عن وجهه (2) 3 - وتمنى الصحابي أبو هريرة الموت محافة
أن تدركه سنة عدمنها أن يتخذ الناس القرآن مزامير (3)

(1) أنظر: مالك بن انس: الموطأ - كتاب ج 1 حديث 10 القرطبي: الجامع لاحكام القرآن ج 1
ص 71 على بن سلطان القادى: مرفاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح ج 2 ص 618 السيوطي:

الافقان ج 1 ص 101 و 102 المسأوى: جمال القراء ص 68 (مخطوط رقم 29 بدار الكتب
والوثائق القومية بالقاهرة) (2) ابن الحاج: المدخل ج 1 ص 74 و 75 (3) ابن سعيد: الطبقات
الكبرى - القسم الثاني ص 61

(42/1)

4 - وفى سنن الدارمي: أنهم كانوا يرون هذه الألحان
في القراءة محدثة (1)، ومعلوم أنه في الإسلام: شر الأمور محدثاها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة
ضلالة، وكل ضلالة في النار 5 - وممن كره القراءة بالألحان من التابعين: سعيد ابن المسيب،
وسعيد بن جبير، والحسن البصري، والقاسم ابن محمد، وابن سيرين، وابراهيم النخعي (2) 6 -
وممن كرهها أيضا من تابعي التابعين: سفيان ابن عيينة ومالك بن أنس (3) 7 - ويذكر ابن
سحنون في واجبات المعلم تلقاء تلاميذه انه لا يرى أن يعلم ألحان القرآن، لأن مالكا قال: لا يجوز
أن يقرأ القرآن بالألحان ويقول ابن سحنون: (ولا أرى أن يعلمهم التجبير،

(1) ج 2 ص 474 (2) ابن القيم: زاد المعاد ج 1 ص 134 (3) ابن القيم: زاد المعاد ج 1 ص

137

(43/1)

لأن ذلك داعية إلى الغناء، وهو مكروه، وأن ينهى عن ذلك بأشد النهي) ويقول: (لقد سئل مالك عن
هذه المجالس التي يجتمع فيها للقراءة.

فقال: بدعة: وأرى للوالى أن ينهاهم عن ذلك ويحسن أدبهم) (1) 8 - ويقول الزيلعي: لا يحل
الترجيع في قراءته، ولا التطريب فيه، ولا يحل الاستماع إليه، لأن فيه تشبها بفعل الفسقة في حال
فسقهم، وهو التغني؟) (2)

9 - وذكر الربيع الجيزى عن الشافعي أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة (3) 10 - وذكر عبد الله
بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القراءة بألحان، فكرهها، وقال: لا، إلا أن

(1) آداب المعلمين - ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان (2) أي التغني بغزلياتهم بالألحان

المخترة، وانظر: ساجقلى زاده ص 31.

(3) السبلى: طبقات الشافعية ج 2 ص 132 (ط).
الطناحى والحلو)، وابن شبهة: الطبقات ص 3 (مخطوطة رقم 1568 ت بدار الكتب والوثائق
القومية بالقاهرة)

(44/1)

يكون طبع الرجل، مثل قراءة أبي موسى حدرا (1) وقد سئل أحمد: ما نقول في القراءة بالألحان؟
فقال: ما أسمك؟ قال السائل: محمد قال: يسرك ما يقال لك: موحد (ممدودا)؟ (2) 11 - وقد اختم
الماوردى كتاب: (أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك) بحذير بناه على حديث نبوى
هو - كما يقول الماوردى - (أوعظ نذير وأبلغ تخويف) (3)، وهو حديث رواه عبد الله بن عبيد،
عن عمير اللثيى، عن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه تحديد لأشراط
الساعة، وإنذار بتوقع
نزول البلاء بالأمة، إذا وقع الناس في منكرات كبيرة، كإمامة الصلاة، وإضاعة الأمانة، والاستخفاف
بالدعاء،

(1) كتاب العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل ج 1 ص 373 (2) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد
ج 1 ص 138 (3) ص 58 (ط 1929 بنفقة مكتبة الخانجى)

(45/1)

وجا بين هذه الأشراط أن يتخذ النا القران مزامير (1) 12 - والحارث بن مسكين الذى تولى قضاء
قضاة مصرفي سنة 237 هـ كان يضرب الذين يقرعون بالألحان (2) 13 - وابن بطة العكبرى
المتوفى العراق سنة 387 هـ يرى أن (من البدع قراءة القران والأذن بالألحان وتشبيهها بالغناء)
(3) 14 - والنوري من أعلام الشافعية، والمتوفى سنة 676 هـ يصف تلك القراءة بأنها (مصيبة
ابتلى بها بعض الجهلة الطغام الغشمة الذين يقرعون على الجنائز وفي بعض المحافل) (4) ويردد
النوري قول الماوردى: (أن هذه بدعة محرمة ظاهرة يأثم كل مستمع لها، كل قادر على إزالتها أو
النهي عنها إذا عنها إذا لم يفعل ذلك) (5) ثم يقول النووي عن محاربتة لهذه

(1) نفس المرجع (2) أنظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزهراء ج 2 ص 288 و 289 (3) أنظر:

كتاب: الشرح والابانة على أصول السنة والامانة ص 89 (4) التبيان في آداب حملة القران ص 56 (5) نفس المرجع

(46/1)

البدعة: (وقد بذلت فيها بعض قدرتي، وأرجو من الله الكريم أن يوفق لازالتها من هو أهل لذلك، وأن يجعله في عاقبة) (1) 15 - وابن خلدون المتوفى سنة 808 هـ يرى (أن صناعة الغناء مبانية للقران بكل وجه، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القران) (2) ويرى ابن خلدون (الأخذ بالتلحين البسيط الذي يهتدى إليه صاحب المضممار، فيردد أصواته ترديدا، على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره) (3) ويرى أن (القران محل الخشوع، يذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاد بادراك الحسن من الأصوات) (4) 16 - والبزازی يقول في إطلاق: قراءة القران بالإلحان معيصة، والتالى والسامع آثمان) (5)

(1) نفس المرجع (2) المقدمة - فصل في صناعة الغناء ج 3 ص 968 (بتحقيق على عبد الواحد واقى) (4) نفس المرجع (5) ساجقلى زاده ص 44

(47/1)

17 - بل إنه - في معرض كراهية تشبيه قارئ، القران بأصحاب الغناء التلحيني - حكى عن ظهير الدين المرغبانى أنه قال: من قال لمقرئ زماننا: أحسنت، عند قراءته، يكفر (1)! بيد أن ساجقلى زاده يصف هذا القول بأنه مشكله، (لأن القارئ، هو الأستاذ ومعلم القران، فإذا كان تحسين قرأته كفرا فما ظنك بتحسين قراءة التلاميذ؟ وزمان المرغبانى إذا كان كذلك، فما ظنك بزماننا؟ فيازم في هذا الزمان إكفار من حسن قراءة أحد تلميذا أو مقرئا ماهرا في تجويد القران) (2) 18 - والذين كرهوا قراءة القران بالالحان جعلوا منع هذه القراءة واجبا من واجبات المحتسب

(1) نفس المرجع (2) نفس المرجع ص 47 و 48

(48/1)

يحدد الشيزرى قواعد الحسبة على المؤذنين والأئمة والقراء، فيذكر منها أن (يأمر المحتسب أهل القرآن بقراءته مرتلا، كما أمر الله سبحانه وتعالى، وبينها هم عن تلحين القرآن وقراءته بالأصوات اللحنة) (1)

(1) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص 108

(49/1)

الفصل الخامس اسلوب التغني الذى ينكره المسلمون - 1 - أغلب الذين كرهوا أو حرموا التغني بالقران لم ينفوا ولم يعارضوا حقيقة ملموسة ملموسة منذ قديم هي أن المسلمين يستحلون التغني بالقران والتطريب به، وأن النفوس بفطرتها تقبل هذا أما الذى كرهه السلف وأنكروه على من قرأه فهو، على الحقيقة، (ما يعلم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة، على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترة، ولا يحصل إلا بالتعليم والتكليف (1) - 2 - والقراء في مجموعهم، وعلى مدى تاريخهم، يلتزمون

(1) ابن القيم: زاد العماد ج 1 ص 127 و 128

(50/1)

بقواعد الأداء والتجويد، حين ينتغمون بأى القرآن والذى يترخص منهم في هذا الالتزام ولو قليلا يسقط قدره بين القراء والمستمعين على السواء والنكير في هذا كان وما برح شديدا وفي تراجم القراء إشارات تقدير إلى كثير منهم، لأنهم يجمعون إلى الطرب تجويدا حسنا وأداء دقيقا - 3 - ويقول الماوردى: (القراءة بالألحان الموضوعية إن أخرجت لفظ القرآن من صبغته بادخال حركات فيه، أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود أو مد مقصور، أو تمطيط يخفى به بعض اللفظ، ويلتبس المعنى، فهو حرام، يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج والله تعالى يقول: قرأنا عربيا غير ذى عوج) (1) وان لم يخرج اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله كان

(51/1)

مباحا، لأنه زاد على ألقانه في تحسينه) (1) ويقول القرطبي: (...، ثم أن في الترجيع والتطريب همزما ليس بمهموز، ومدا ليس بممدود، فترجع اللف الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات...، فيؤدى ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها وهمزات... الخ (2) ويقول على القارى في شرح مقدمه الجزرية: (المراد بلحون العرب القراءة بالطبع وبالأصوات السليقة، وبلحون أهل الفسق الانعام المستفادة من الموسيقى والامر محمول على الندب، والنهى محمول على الكراهية إن حصل مع المنهى عنه المحافظة على صحنه ألفاظ الحروف، وإلا فمحمول على التحريم) (3) ويقول ابن حجرى (شرح المشائل): (قد كثر الخلاف في التطريب والتغنى في القرآن،

(1) أنظر: النووي: التبيان ث 55 و 56 (2) المجامع لاحكام القرآن ج 1 ص 16 (3) نقلا عن ساجقلى زاده ص 5

(52/1)

والحق أن ماكان منه طبيعيا وسجيا (نسبة لسجية) كان محمودا، وما كان منه بالتكلف والألحان المخترعه فهذا هو الذى كرهه السلف) (1) ويعقب على هذا ساجقلى زاده، فيقول: (الكراهية هنا تحريمية دون علة الكراهية للتشبه بالفسقه، هذا إذا لم يؤد التغنى بالالحن المخترعة إلى اللحن الحلى.

وأما إن أدى إليه فذا حرام وكبيرة، يفسق به لقارى، فيكفر مستحلة، لما نقله عن (الحاوى) أن القراءة بالألحان الموضوعه إن غيرت لفظ القرآن بإسكان المتحرك، أو قصر الممدود، أو عمكهما، أو تحطيط نخفى به اللفظ، ويتبيس به المعنى فهو حرام بفق به القارئ ويأثم به المستمع... (2) والتهانوى - في حديثه عن الترنم - يقول: (غير أن المترنم بالقرآن إذا مدفى غير محل المد، أو زاد عند المد مالا تجيزه العرييه، وقع في بدعة آثمة هي ما يسميه المتأخرون - اصطلاحا - التطريب)

(3)

(1) نقلا عن المرجع السابق ص 42 (2) نفس المرجع ص 42 و 43 (3) كشف اصطلاحات
الفنون ج 2 ص 900

(53/1)

4 - ويظهر أن هذه البدعة: بدعة التمطيط الذي يخرج القرآن إلى الغناء تنفشى أحيانا بين القراء
فرادى، بينهم مجتمعين، فنتير أصحاب الغيرة، وتؤسهم أحيانا من صلاح الحال: في ترجمة أحد
القراء أن أستاذة قال له: أحيا الله
قلبك كما أحببت السنة والله لا يزال تمطيط قراء الحوق ونحوه إلا عند نزول عيسى! (1) - 5 -
وواضع أن هذا القارئ لا يشكو من قراءة الجماعة في ذاتها، ولكن شكواه منصبية على التمطيط أما
قراءة الحوق أو الجماعة، في غير مخالفة لقوانين الأداء القرآني، فمستحبة بالدلائل الظاهرة وأفعال
الساف والخاف المتظاهرة) (2) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من)

(1) السخاوى: الضو اللامع ج 4 ص 256 - الترجمة 663 (2) النوري: التبيان ص 50

(54/1)

قوم يذكرون الله إلاحت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن
عنده) (1) ولنا إن شاء الله عودالى قراءة الجماعة

(1) قال الترمزى: حديث حسن صحيح، وأنظر المرجع

(55/1)

الفصل السادس غنائيات القراء - 1 - للتغني بالقرآن كيفية مأثورة خاصة لا تستعمل لغيره ولئن
سميت هذه الكيفية - في بعض النصوص - بالقراءة بالألحان، كما سوف نرى، إن الإسم
الاصطلاحي الأكثر شيوعا والأجدر القرآن هو (التجويد)، وهو - على الحقيقة - التلحين المخصص

بالقرآن، وهو - فيما يحس السامعون - حياة التلاوة وزينة الرأفة والتجويد من (جود) وفي اللغة:
الجيد نقيض الردي على فعيل...

(56/1)

وجاد الشيء جودة وجوده، أي صار جيدا، وأجدت الشيء، فجاد (1) وروض مجود: وأمتعة جيد
واستجدت الشيء، وتجودته: تخيرته، وطلبت أن يكون جيدا وتجود في صنعته: تنوق فيها وأحسن
فيما فعل وأجاد وصانع مجيد ومجواد (2) وفي الإصلاح: (التجويد تلاوة القرآن باعطاء كل حرف
من حروفه حقه في مخرجه وطبقته اللازمة له من همس، وجهر، وشدة، ورخاوة، ونحوها، وإعطاء
كل حرف مستحقه

(1) أنظر: ابن منظور: لسان العرب - فصل الحمم حرف لدال (2) الزمخشري: أساس البلاغة -
(جود)

(57/1)

من الصفات المذكورة كترقيق المستقل، وتفخيم المستعلى، ونحوهما، ورد كل حرف إلى أصله من
غير تكلف (1) والتجويد يعلم بالتلقين من أفواه المشايخ العارفين بطرق أداء القرآن، وتسبق هذه
المادة معرفة مخارج الحروف
وصفاتها، والوقف والابتداء والرسم (2) - 2 - ومراتب التجويد أربعة: التحقيق، والترتيل، والتدوير،
والحدر.. والترتيل مأخوذ من (رتيل) الثغر، فهو (رتيل)، من باب تعب، إذا استوى بتانه، وحسن
تنزيده، وكان مفلجا لا يركب بعضه على بعض، ومن المجاز: (رتل القرآن ترتيلا) إذا ترسل في
تلاوته، وأحسن تأليف حروفه وهو يترسل في كلامه، ويترتل (3)

(1) أنظر: التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ج 1 ص 196 (2) أنظر: نفس المرجع (3)
أنظر: الزمخشري: أساس البلاغة (وت ل) وفخر الدين الريحي النجفي: مجمع البحرين في غريب
القرآن والاحاديث ص 436

(58/1)

ومن تعاريف الترتيل: (1) القراءة بتؤدة وإطمئنان، وإخراج كل حرف من مخرجه، مع إعطائه حقه ومستحقه، ومع تدبر المعاني (ب) رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف (ح) حفظ الصوت والتحزين بالقراءة (1) والتحقيق، وهو أكثر المراتب إطمئنانا، ويؤخذ به في مقام التعليم، يعطى كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق، الهمزة وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض، بالسكت، والترتيل، والتؤدة، وملاحظة الحائز من الوقوف بلا قصر، ولا اختلاس، ولا إسكان محرك ولا إدغام..(1) وهنا اعتبار لابد من مراعاته، وهو أن لا يمتد التحقيق إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتحريك السواكن وتظنين النونات بالمبالغة في

(1) أنظر: على الجرجاني: التعريفات ص 57 (2) أنظر: السيوطي: الاتقان ج 1 ص 99

(59/1)

الغنائات.

وقد قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص، وما فوق الجعودة ققط، وما فوق القراءة ليس بقراءة (1) والتحقيق هو مذهب حمزة وورش (2) أما الحدر، فهوسرعة القراءة وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك... غير أنه لا يجوز مد حروف المد، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة، والتفريط إلى، غاية لا تصح بها القراءة وهذه المرتبة مذهب ابن كثير وأبي جعفر وأبي عمرو ويعقوب (3) وأما التدوير، فهو وسط بين الترتيل والحدر، وهو مذهب أغلب القراء وبخاصة ابن عامر والكسائي (4)

(1) نفس المرجع ص 99 و 100 (2) نفس المرجع (3) أنظر: السيوطي: المرجع السابق ص

100

(4) التهانوري: كشاف اصطلاحات الفنون ج 1 ص 196

(60/1)

2 - وكل قراءة قرآنية ولو كانت مرسلة، لا بد أن تكون مجودة، و (من لم يجد القرآن آثم) كما تقول الجزرية، وقد صح - كما يقول برهان الدين القفيلي، في شرحه على ذلك المتن: (إن النبي صلى الله عليه وسلم سمى قارئ القرآن بغير تجويد فاسقا) قال برهان الدين: (وهو مذهب إمامنا الشافعي رضى الله عنه لأنه قال: إن صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولى عرض الحائط) (1) ولهذا، فإن المصاحف الترنيمية التى سجلت بعد المصحف المرتل بأصوات بعض المشاهير إذ تعرف بالمصاحف المجودة إنما تحمل تعريفا غير جامع أو مانع. وربما كان الأدق والأنسب إذا أريد إبراز خصيصة ذلك النوع من القراء أن يقال: قراءة مرنمة أو ترنيمية، والمصحف المرنم أو الترنيمي والترنيم هو تطريب الصوت وفى الحديث: ما أذن الله لشيء أذنه لنبي حسن الترنم

(1) أنظر: محمد بكر نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص 10

(61/1)

بالقرآن، وفى رواية: حسن الصوت يترنم بالقرآن والترنم: التطريب والتغنى وتحسين الصوت بالتلاوة (1) - 3 - والملحوظ الواقعي أن كل أوجه القراءة، ومنها الترتيل الذى أوردنا عنه آنفا بعض التفاصيل، والذى هو أفضل مراتب القراءة، والمأمور به أمرا مؤكداً في القرآن نفسه: (ورتل القرآن ترتيلا) (2) لا يخلو عادة من ترنيم - 4 - ونعمد بعض الناس - عند قراءة القرآن - إلى طرح الترنم المعتاد الذى يفرض نفسه، حتى فى القراءة المرسلة، مع إلزامهم بقواعد الأداء التجويدية، وهؤلاء تبدو قراءتهم للقرآن، وكأنها الإلقاء المعهود فى الدروس والخطب وقد كانت وزارة المعارف فى مصر، منذ عشرات

(1) لسان العرب - فصل الراء حرف الميم (2) سورة ازل / 4

(62/1)

قليلة من السنين، تدعو إلى اتباع هذا فى مدارسها، ولكن، اجمهور بقى على هذه الطريقة والحق أن هذه الطريقة ليست حادثة، فأبو عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة 253 هـ أو 242 هـ، والإمام فى القراءات والنحو، صنف كتابا فى جواز قراءة القرآن على طريق المخاطية (1) - 5 - وقراءة القرآن

بمختلف القراءات والروايات والطرق والأوجه، هي - في مصطلح القرآنيين - فن: يتحدث أن ابن الجزرى عن أبى العباس المطوعى المتوفى سنة 371 هـ، فيقول إنه (اعتى بالفن) (2)، ويقول عن ابن الناقد المتوفى سنة 616 هـ: (كان ثقة بصيرا بالفن) (3)،

-
- (1) نفس المرجع ص 392 (2) أنظر: ابن الجزرى: غاية النهاية ص 2 ص 223 و 224
(3) غاية النهاية ج 1 ص 214 و 215

(63/1)

ويقول عن قارئ اسمه احمد بن إبراهيم الشجيرجى المعروف بالمعصرانى، والذي بقى إلى ستة 784: (ترك الفن) (1) - 5 - والقرآن نفسه يحتفل بالموسيقية يمكن لها، وربما كان من الدلائل الواضحة لهذا أنه كثر فيه خم كلمة القطع من الفاصلة بحروف المد واللين والحقاق النون قال سيبويه: (...أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء لأنهم أرادوا مد الصو وإذا أنشدوا ولم يترنموا: فأهل الحجاز يدعون القوافى على حالها في الترنم، وناس من نبي تميم يبدلون مكان المدة النون) (2) ويقول الزركشي هنا: (وجاء القرآن على أعذب مقطع وأسهل موقف) (3) وربما كان أيضا من هذه الدلائل أن فواصل القرآن تبنى على الوقف، بحيث لا يفقد القارئ أسباب الموسيقى،

-
- (1) نفس المرجع ص 35 (2) أنظر: الزركشي: البرهان ج 1 ص 68 و 69 (3) نفس المرجع

(64/1)

فشاع - كما يقول الزركشي (1) - (مقابلة المرفوع بالمجرور (وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون، ومنه قوله تعالى: (إنا خلقناهم من طين لازب) (2) مع تقدم قوله: (عذاب واصب) (3)، (شهاب ثاقب) (4) وكذا (بماء منهمر) (5)، و (قد قدر) (6)، وكذا (من دونه من وال) (7)، مع (وينشئ السحاب النقال) (8) والقران بطبيعته وأسأويه ذو سطوة قاهرة على العقول والنفوس، وهى سطوة لا تحتاج البتة إلى موسيقى خارجية

-
- (1) نفس المرجع ص 69 و 70 (2) سورة الصافات، 11 (3) نفس السورة، 9 (4) نفس السورة 10 (5) سورة القمر، 11 (6) نفس السورة، 12 (7) سورة الرعد، 11 (8) نفس السورة 12

تقويها.

يقول الزركشي، في أسلوب القرآن، والجمال في عبارة الزركشي لا يخل بالوضوعية ولا بالعلمية: (...إذا كان سياق الكلام ترجية بسط، وإن كان تخويفا قبض، كان وعدا أبهج، وأن كان وعيدا أزعج، وإن كان دعوة حذب، وإن كان زجرة أرب، وإن كان موعظة ألق، وإن كان زجرة أرب وإن كان ترغيبا شوق... الخ) (1) ويقول إن الله سمي القرآن روحا، فقال: (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) (2) (لأنه يؤدي إلى سببا للاقتدار، وعلمنا على الاعتبار) (3) وقد سبق إن أوضحا في كتاب آخر (4) أن القرآن موسيقاه الخاصة التي تلايفوت إدراكها أحدا من قرائه،

(1) البرهان - المقدمة ج 1 ص 4 و 5 (2) سورة غافر / 15 (3) البرهان: المرجع السابق (4) الجمع الصوفى الاول للقران الكريم أو المصحف المرثل براعته ومخططاته

وذكرنا هناك من أنواع بدائعه ما يمكن أن نرى فيه ضمنا دلائل موسيقيه نابغه منه، وليست ممتجلية إليه وذكرنا أن من هذه الأنواع: الانسجام الذي إذا قوى في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والإبدال، والتفويف، والتعديد، والمضارع، وحسن النسق، والمشاكله، والتجنيس، والترديد، والتعطف، والتسميط، والمماثلة، ثم توفير الإنسجام بين الألفاظ والأصوات من طرق كثيرة أخرى (1) - 6 - ومن الناحية الواقعية، يأخذ قراء المحافل بفن المغنين والملحنين، ويقلدونهم. ويستعملون مصطلحاتهم.

يقول عبد العزيز البشري عن قارئ معروف هو الشيخ حنفي أبو العلا إنه بفن عبده الحمولى، وكان يقلده في جميع

(1) أنظر ص 309 - 350

تتاغيمه) (1) ويقول البشرى، مستعملا عبارات ملحنى الغناء: (الذوق المصرى لا يستريح إلا إذا انتهت النغمة بتكريس الصوت، والزر على الحلق، أو ما يدعوه أصحاب الغناء بالعفق) (2) وكان الغنيمى التفتازانى يقول إن أحمد ندا القارئ المشهور (كان على عرق عظيم من العلم بفن الموسيقى) (3)، ولكن البشر فى غير نفى جاسم لهذه الدعوى، يقول: (إن ندا لم يزد على إدراك أوليات النغم بما تلتف فى صدر نشأته من لدانه: هذا صبا، وهذا سيكاه، وهذا عراق، وهذا جركاه) (4) وحتى غير القراء حين يدرسون الانسجام الصوتى فى القرآن يسمون هذا الانسجام (موسيقا) (5)، ويستعملون فى دراستهم المصطلحات الموسيقية

-
- (1) أنظر المختار ج 2 ص 34 - 37 (2) نفس المرجع (3) نفس المرجع ص 110 و 111
(4) نفس المرجع (5) أنظر: عبد الوهاب حمودة: موسيقا القرآن - بحث فى
مجلة لواء الاسلام جمادى الاخر 1367 هـ

(68/1)

يتحدث عبد الوهاب حموده عن الموسيقى الوصفية فى القرآن، وهى التى تصور المعنى، وتدل على الفكرة من طريق أحياء النغم وتشابه الصوت اللانسجام الذى يكون بين الموسيقى والمعنى الذى توحى به، فيتكلم عن قوله تعالى: (فككبوا فيها هم والغاؤون) (1) فيقول: إن هذا الفعل يتكون موسيقيا من نقطتين متماثلين متكررتين فى سرعة وتوال، وفى لغة الموسيقى يسمى هذا: (2 نوار)، ليكون ذلك التمثيل أدل عل يتخيل المعنى، وأحكم فى تصور الحالة، وأميز فى تأثر النفس بها (2) ويتحدث أيضا عن فواتح السور من حروف المعجم، فيقول: (...فإن بعض العلماء يرى فيها أنهار موز صوتية وإشارات موسيقية، لأن القرآن نزل ليرتل ويتلى، وقد كانت الموسيقى القديمة بسيطة يشار إلى ألقانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة تقابل فى عصرنا الحاضر ما يعرف فى (النوتة) بمفتاح (صول) (3)

-
- (1) سورة الشعراء، 94 (2) نفس المرجع (3) نفس المرجع

(69/1)

وقد يستحدث القارئ في طريقة ترنمة القرآن، يقول
البشرى عن أحمد ندا: (جعل في أول نشأته يحاكي الشيخ حنفي برعى، ويستن سبيله، وينهج نهجه،
وكذلك كان في عمة ترتيله، لهم إلا ما كان يستحدثه ذوقه الخالص، وكان هذا قليلا بالإضافة إلى
سائر شأنه...، وكانت تأبى عليه كرامته الفية إلا أن يحدث كل يوم حدثا في الصنعة من مبتكره هو
ومن بدع ذوقه، يطرح بازلئه شيئا مما أخذ عن أستاذه الشيخ حنفي، حتى، استوت شخصيته،
وأدركت، وتمت له صنعة جديدة فاخرة في فن القراءة والترتيل) (1) وقيل إن القارئ الشهير
محمد رفعت يستمع إلى تسجيلات عباقرة الفن الموسيقى الرفيع، (وعندما مات خلف ثروة كبيرة من
أسطوانات باخ، وموزارت، وبيتهوفن، ولست، وعدة أسطوانات أخرى للعازف الكبير باجيني) (2)

(1) المختار ص 2 ص 111 - 113 (2) محمود السعدني: دولة المقرئين ص 29

(70/1)

والقارئ يوسف المنيلوى المتوفى سنة 1911 (كان يلحن ويغنى ويقرأ القرآن (1) وفي أزمنة سابقة
أيضا، كان لبعض القراء علاقة موصلة بالألحان والغناء: فالقارئ البغدادي محمد بن فصالة المتوفى
سنة 348 هـ هو (صاحب الألحان والصوت الطيب) (2) والفقير المقرئ عبد الرحمن بن النفيس
الذي يعرف
بالأعز البغدادي (كان في ابتداء أمره يغنى، وله صوت، حسن، ثم تاب، وحسنت توبته) (3) وعبد
الله المارداني القاهري المحاسب، والذي حفظ القرآن، وكان له صوت شجي مطرب (نشأ مع قراء
الجوق، وكان أبوه ممن يدق الطبلخاية) (4)

(1) نفس المرجع ص 13 (2) أنظر: الصفي: الوافي بالوفيات ص 291 (ط استانبول 1949)
وأبن الجوزي: المنتظم ج 6 ص 392 (3) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج 1 ص 330
(4) السخاوي: الضوء اللامع ج 5 ص 19 - الترجمة 65

(71/1)

- 7 - على أن الجو الإسلامي بتنفس دائما بالرضى عن لا يستعمل صوته الحسن في الغناء
الحرم ومما ذكره السبكي في هذا الشأن: (.من شكر نعمة الله تعالى على ذوى الأصوات الحسنة

من القراء والمنشدين أن لا يستعملوا أصواتهم في الغناء المحرم ومجالس الخمر والمنكرات، وليتجنبوا مقت الرب و غضبه تبارك وتعالى) (1) ومما يشير إلى أن الغناء كان يثقل على الضمائر، ويدعى بالتوبة منه أن مغنيا هو فيصد بن الخضر أبو الحارث الأولاسى المتوفى سنة 297 هـ كان يغنى في صباحه، فمر بمريض على وقارعة الطريق، فقال له: ما تشتهي؟ قال: الرمان فجاء به، فقال له: تاب الله عليك! فما أمسى حتى تغير عما كان عليه (2)

(1) معيد النعم ومبيد النقم ص 111 (2) ابن الجوزى: المنتظم ج 6 ص 93

(72/1)

8 - والقراء يشركون مع بعض المغنين في بعض العادات (فالمغني الشعبي حين والقارئ حين يتلو القرآن، كلاهما يضع يديه غالبا على خده، وهذه عادة وردت لها عشرات الرسوم في الآثار المصرية القديمة) (1) والمشاهد أن لأغلب القراء - عند القراءة - حركات واهتزازات مثل التي للمغنين - 9 - ويعمد بعض القراء إلى الجميع بين الروايات المتعددة في المجلس الواحد، وربما كان قصد بعضهم من هذا تلوين النغم والتأثير به على السامعين وقد اختلف علماء القرآن في جواز هذا الجمع وعدمه: 1 - فالصابة لم يكونوا يجمعون (2)

(1) محرم كمال: آثار حضارة الغراعة وحياتنا الحاثية - مجلة الكاتب المصرى ع 10 يوليه 1946 ص 301 وما بعدها (2) أنظر: محمد بخيت المطيعي: تقرير في نقيظ كتاب (الآيات البيئات) لأبي بكر بن خلف الحسينى ص 21 وما بعدها

(73/1)

2 - والحنفية يتشددون في منع الجمع: يقول صاحب (الحادى القدسي): (وقراءة القرآن بقراءات معروفة أو شاذة دفعة واحدة بترجيح الكلمات مكروهة (1) وفي (الفتاوى النثار خانية) مانصه: وفي فتاوى الحجة: (وقراءة القرآن بالقراءات السبعة والروايات كلها جائزه، ولكنى أرى الصواب أن لا تقرأ بالقراءات العجيبة بالإمالات، والروايات الغربية، لأن بعض الناس يتعجبون، وبعضهم يتفكرون، وبعضهم يخطئون، وبعض السفهاء يقولون

ما لا يعملون، ولعلمهم لا يرغبون، فيقعون في الإثم والشقاء ولا ينبغي للأئمة أن يحملوا العوام إلى ما فيه نقصان دينهم ودنياهم، وحرمان ثوابهم في عقابهم ولا يقرأ على رأس العوام والجهال وأهل القرى والجبال،

(1) نقلا عن: محمد بخيت المطيعي: المرجع السابق

(74/1)

مثلا: قراءة أبي جعفر المدني، وابن عامر، وعلى بن حمزة الكسائي، صيانة لدينهم، فلعلمهم يستخفون أو يضحكون، وإن كان كل القراءات والروايات صحيحة فصيحة طيبة، ومشايخنا اختاروا قراءة أبي عمرو وحفص عن عاصم) (1) 3 - أما الشافعية: فعند بعضهم أن المنع من هذا الجمع هو من الأولوية لا على الحتم، وأن إطلاق المنع غير جائز (2) وعند بعضهم الآخر: (القارئ متى خلط رواية بأخرى

كان كاذبا على القارئ الذي يشرع في إقراء روايته، فمن قرأ رواية لم يحسن أن ينتقل عنها إلى رواية أخرى) (3) ويقول النوري: إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء، فينبغي أن يستمر على القراءة بها، مادام الكلام مرتبطا، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس) (4)

(1) نفس المرجع (2) أنظر: ابن العسقلاني: فتح الباري ج 9 ص 31 (3) المرجع نفسه (4) التبيان ص 48

(75/1)

وقد استنبط زكريا الأنصاري المتوفى سنة 926 هـ من لفظ (فينبغي) أنفا أن عدم الاستمرار في قراءة واحدة حرام، ودليل التحريم عنده (أن القراءة بذلك تستلزم فوات ارتباط إحدى القراءتين بالأخرى، والإتيان بهيئة لم يقرأ بها إحد) (1) 4 - وأما الحنابلة: فقد قالوا إن معرفة القراءة وحفظها سنة متبعة تأخذها الآخر عن الأول، فمعرفة القراءات التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها أو يقرهم على القراءة بها سنة والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك، ولا يعرف إلا قراءة واحدة وأما جمها في الصلاة أوفى التلاوة فهو بدعة مكروهة

وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي نقلته طوائف في القراءة (2)

(1) الاعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الاسلام ابى يحيى زكريا الانصاري ص 423 ج 424 (2)
بخيت المطيعى: المرجع السابق

(76/1)

5 - وعند المتأخرين: حدث منذ أكثر من نصف قرن أن محمد بن خلف الحسينى الحداد شيخ المقارئ غير مرة بعدم جواز المجمع، (وأنه بدعة وضلالة أحدثه الجهال، وهم لا يعول عليهم، ولا يلتفت إليهم) فارتضى بعض الناس هذا الحكم ورفضه آخرون فعقد شيخ الأزهر آنذ في رابع ذى القعدة سنة 1340 هـ جمعا علميا للفصل في الأمر، فأيد الجمع رأى شيخ المقارئ، وقرروا (منع جمع قراءة أو رواية مع أخرى، بأى طريقة من طريقه في أي مجلس كان) (1) فكتب أحد القراء المقرئين، واسمه: خليل محمد غنيم الجنائبي رسالة سماها: (هداية القراء والمقرئين) أجاز فيها جمع القراءات فانبرى له أبو بكر الحداد، وهو ابن شيخ المقارئ في ذلك الوقت، وأصدر كتابه (الآيات البينات في حكم جمع القراءات)

(1) مقدمة كتاب لآيات البينات في حكم جمع القراءات لابي بكر الحداد ص 9

(77/1)

فرد الجنائبي بكتاب سماه: البرهان الوقاد قى الرد على ابن الحداد: ودخل في النقاش المستعر - في صف الحداد - مقرئ اسمه محمد سعودى ابراهيم، فأصدر كتابه: (إفحام أهل العناد بتأييد ابن الحداد) ودخل المعركة مقرئ آخر اسمه عبد الفتاح هنيدي بكتابه: (الأدلة الفعلية في حكم جمع القراءات النقلية)، وفيه يحل الجمع ويحبذه والعجيب أنه مع هذه المناظرة الطريفة النشطة المفيدة ما برح الخلاف حول جمع القراءات قائما وقد اقترح أخيراسن تشريع لمعاقبة القراء الذين يتلون الآية الواحدة بقراءتها المختلفة في المجلس الواحد، فأجبنا بأننا نؤثر فعلا الأفراد في القراءة في المجلس الواحد، منعا من اختلاط الروايات بعضها ببعض، ومنعامن التلفيق بينها، وقد كنا أوضحنا هذا في كتاب (الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم) عند حديثنا عن مخططات المشروع، وعند اختيارنا للروايات والطرق والأوجه التى تسجل بها المصاحف

(78/1)

المرتلة، ولكننا - مع ذلك - لم نستطع أن نقر فكرة سن التشريع المقترح! 1 - لأن بعض المذهب تجيز الجمع، حسبما توضح
أنفا، ولأن الجمع يستوفى مذاهب القراء، فضلا عن أن فيه تذكيرا وإعانة على استحضار المعاني 2
- ولأن القراء كانوا يجمعون القراءات في عصر أبي عمرو الداني، وهو من أعلام علماء القرآن
والمؤلفين في علومه، ولم يتكلم أحد في منع هذا الجمع، وصار معمولا به في كل عصر، وكأنه
إجماع سكوتي، وربما كان قوليا 3 - ولأن القراءة قد تفسر بقراءة أخرى، كما في: (1) كلمة (لمستم)
(1)، فقد نبى الفقهاء نقض وضوء الملوس وعدمه على الختلاف القراءة في (لمستم)، و (لامستم)
(ب) كلمة (يظهرن) (2): مرة بسكون الطاء المخففة وضم الهاء ومرة أخرى مشددة، مع تشديد الهاء
مفتوحة،

(1) سورة النساء /، ضمن الآية 43 (2) سورة البقرة /، ضمن الآية 222

(79/1)

والقراءتان متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويقرأ بالأولى نافع، وابن كثير، وأبو عمرو،
وابن عامر، وعاصم، وهى تعنى أن ينقطع عنهن الدم، والثانية قراءة حمزة، والكسائي، وعاصم في
رواية أبي بكر، المفضل، وهى تعن أن يغتسلن بالماء (ح) وكلمة (ألا) في آية (الا يسجدوا لله الذى
يخرج الخبء في السموت
ولأرض) (1) والتخفيف في (ألا) هو قراءة الكسائي ورويس وأبى جعفر ووجه بأن (ألا) مخففة
للاستفتاح، أما التشديد فهو قراءة الباقرين (د) وكلمة (أمرنا) في قوله تعالى: (وأذا أردنا نهلك قرية
أمرنا مترفيها) (2) ومع الفتح المخفف مرة أخرى، وهى في حالة التشديد بمعنى: جعلنا لهم إمرة
وسلطانا

(1) سورة النمل / 25 (2) سورة الاسراء / 16

(80/1)

4 - ولأن بعضهم يرون الجمع واجبا وعبادة، إذا طلبه قوم ليعرفوا وجه القراءة، ليسهل عليهم النطق بالقران كقراءة (إهدنا الصراط المستقيم (1) بالصاد والسين في كثيرا من الناس يعسر عليهم النطق بالصاد ومعرفتها تصح الصلاة وتعتر من أمور الدين المحتاج إليها 5 - ولأن الجمع يكفل أن يتعهد القارئ ما حفظه وهكذا وجدنا القواعد الصولية للتشريع تمنع من سن القانون الذي اقترح، كما رأينا أن يكون توجيه الخالفين بالتعليم، وبالحكمة والموعظة الحسنة

10 - ويتغى بعض القراء بالمدائح النبوية، وبقصص المولد الشريف والملاحظه في هذا لمدائح والقصص أنها مصوغة في أساليب غنائيه، وأنها - وخاصة القصص - مسجوعة غالبا، وحافلة بالمحسنات البديعية

(1) سورة الفاتحة / 6

(81/1)

ومن هذه القصص قصة ألفها (البرزنجي) وأخرى ألفها (المنأوى) وثالثه حديثه ألفها عبد الله عفيفي في الثلاثيات من هذا القول وقد التزم هؤلاء المؤلفون في قصصهم الباء والهاء في الفواصل ويمارس بعض القراء الإنشاد والابتهالات وقد حدد المجتمع الإسلامي، منذ قديم، واجبات المنشد تفصيلا يقول السبكي في هذا الشأن: (وينبغى أن يذكر من الأشعار ما هو واضح اللفظ صحيح المعنى مشتملا على مدائح سيدنا ومولانا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ذكر الله تعالى وآلائه وعظمته وخشية مقتته وذكر الموت ومابعده..) (1) ولا يقر السبكي اختصار المنشد على ذكر أبيات غزلية أو حماسية، وخاصيه في مجامع العلم (2)

(1) معيد النعم ومبيد النقم ص 109 (2) نفس المرجع

(82/1)

وقد يطلق على المنشد (ابن الليالي) إذا كان يحفظ وينشد على حلقات الذكر القصائد الغزلية الصوفية كقصائد ابن الفارض (1)

(1) أنظر: أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص 4 ط 1953

(83/1)

الفصل السابع من قواعد تلاوة القرآن وآدابها - 1 - الظاهر الملموس أن قراءة القرآن بترتيل مرسل أو بترنيم منغم يزيد لها تأثيراً، ويزيدها وضوحاً أن يعرف القارئ مواضع الوقف والإبتداء وهذا ما يقتضيه معرفة علوم كثيرة يقول أبو بكر بن مجاهد: (لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوى عالم بالقراءت، وعالم بالتفسير والقصص، وتخليص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن) (1) وأضاف كثيرون إلى هذه العلوم علم الفقه (2) ونحن نقر هذا وذاك، ونستحسنها

(1) أنظر: الزركشي: البرهان ج 1 ص 343 (2) نفس المرجع

(84/1)

وقد يؤدي عدم الوقف في مكانه إلى تغيير المعنى تغييراً كبيراً: قرأ قارئ قوله تعالى: (فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) (1) من غير أن يقف عند كلمة (قولهم)، وهو وقف لازم، فبدت جملة (إنا نعلم...) كأنها مقول القول الذي يطلب الله تعالى إلى نبيه أن لا يحزنه وفي كتاب (أوقاف الكفر) لأبي منصور الماتريدي (2) بيان مفصل لوقوف غير جائزة، بل هل تفضى إلى كفر من يقرأ بها عامداً - 2 - ويستحب أن يقرأ القرآن بالتفخيم، فإن زيد بن ثابت روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (نزل القرآن

(1) سورة يس / 72 (2) مخطوطة رقم و 354 مجاميع بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(85/1)

بالتفخيم) (1)، ولعل المقصود بذلك أن تكون قراءة بنبرات رجولية بعيدة عن السمات الصوتية الأثنوية التي فيها عادة الخضوع والضعف - 3 - وقد كتب النووي فصلا في استحباب قراءة الجماعة مجتمعين، وفضل القارئ من الجماعة والسامعين، وبيان فضل من جمعهم عليها، وحرصهم وندبهم إليها (2) واستند النووي إلى حديثه: (ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده) (3)، كما استند النووي إلى ما روى ابن داود من أن إبا الدرداء كان يدرس القرآن، ومعه نفر يقرأون جميعا، ومن أن جماعات من أفاضل السلف والخلف وقضاة المتقدمين كانوا

(1) القرطبي: التذكار في افضل الانكار - 125 (2) التبيان ص 50 وما بعدها (3) رواه أبو هريرة، وأبو سعيد الحذرى، وقال الترمزى: حديث حسن صحيح، وأنظر: نفس المرجع

(86/1)

يفعلون ذلك (1) ونظرا لأن التجويد قد يلحقه نقص إذا قرأ فريق من الناس جماعة أو بصوت واحد، فيقع منهم مثلا ما لا يمد، أو تحريك ساكن، أو إسكان متحرك، لتستقيم لهم التغمّة التي اختاروها، فاننا لا نميل إلى هذه الطريقة، وسبق أن نبهنا إلى فسادها في كتاب (الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل: بواعثه ومخططاته) (2) وقد أورد النووي نفسه ما رواه ابن أبى داود عن الضحاك ابن عبد الرحمن بن عرزب من أنه أنكر هذه القراءة، وقرر أنه لم ير أحدا فعلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (3) وكذلك أورد النووي ما ورد من أنه قيل لمالك، أرايت القوم يجتمعون فيقرأون جميعا سورة واحدة يختمونها؟ فأنكر ذلك وعابه، قال: ليس هكذا تصنع الناس،

* (هامش *) (1) نفس المرجع ص 51 (2) ص 346 (3) التبيان ص 51

(87/1)

إنما كان يقرأ الرجل الآخر يعرضه (1) والنفسه أيضا يشرط للقراءة الجماعية شروطا يوجب استيفاءها (2) وعندنا أنه ربما كان ترك هذا الاسلوب في قراءة القرآن أولى وأحوط وقد تناولنا بالتفصيل في كتاب (الجمع الصوتي الأول...) مبعثات صوتية أخرى تتافى أيضا جلال القرآن، وتخرج عن قواعد أدائه، وتتاله بشئ من التحريف، وتعوق حسن فهمه والتأثر به، وذكرنا هناك أن

هذه المبتدعات كانت من بواعث تفكيرنا في الجمع الصوتي الأول للقرآن، ومن موجّهات تسجيل المصاحف المرتلة الأئمة (3) - 4 - والقراءة المؤثرة هي التي يقرؤها القارئ على نشاط قلبي حاضر، واجتماع حقيقي للخواطر، واستعداد نفسي

(1) نفس المرجع (2) نفس المرجع (3) أنظر ص 344 - 348

(88/1)

غير فاتر، ولعل حديث (أقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه) (1) أن يكون أمراً بهذه القراءة، فهو يدعو إلى القراءة ما دام القلب مقبلاً، والذهبن واعياً، والنفس مستجيبة، فإذا لم يكن هذا كان تأجيل القراءة أفضل - 5 - ومن التوجيهات الصوتية في شأن تلاوة القرآن قول إبراهيم النخعي العالم الزاهد المشهور والمتوفى سنة 92 وقيل 95: ينبغي للقارئ إذا قرأ نحو قوله تعالى: (وقالت اليهود عزيز ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله) (2) ونحو ذلك من الآيات أن نخفض بها صوته (3)

(1) عن جندب، رواه البخاري، ومسلم، وأحمد في مسنده والنسائي وأنظر: المناوي: فيض القدير ج 2 ص 63 (3) ابن الجزري: غاية النهاية ج 1 ص 30

(89/1)

وبعض القراء يقتصرون في قراءتهم بالمحافل على أرباع أو سور معينة عرفوا جيداً قراءاتها وأساليب التعني بها ومرجع هذا غالباً هو قلة محفوظهم من القرآن، وهذا أمر نأسف له، وننكره على فاعليه وقد استجدت في السنوات الأخيرة في وزارة الأوقاف فكرة ترمي إلى إصدار قرار رسمي يوجب على القارئ المضى في قراءته من موضع واحد، من راية القراءة إلى منتهاها، ولكننا رفضنا هذه الفكرة، لاعتبارات فنية وقانونية، وإيثارا لأهون الضررين: قلة المقروء ولو أنه سليم، وحفظ المقروء لو أنه كثير - 7 - وعندنا أن سلامة الوقف والإبتداء في قراءة القرآن،

وصحة التفخيم في تلاوته، والنشاط القلبي للقارئ، وفقهه للمواقف، ومسايرة صوته للمعاني القرآنية... كل ذلك هو من أهم وسائل (التلحين الخاص) التي تجلو المعاني القرآنية، وتكفل بلوغها إلى العقول والقلوب

(90/1)

على أننا لا نسيغ التعبير عن الأداء المنغم المؤثر الدقيق للقرآن بلفظ (التلحين)، تنزيها لكلام الله عن أن يتصل بلفظ اصطلاحي منصرف الآن - في مفهوم الكافة - إلى الأغاني، وإن من الأغاني كما هو غير باعث، وإن منها لما هو غير نظيف وليس يثينا عن رأينا أن يكون بعض القدامى قد استعملوا مادة (لحن) في التعبير عن القراءة القرآنية المرنمة، كالذى ورد عن أبا موسى الأشعري كان يقرأ القرآن تلبية لطلب عمر بن الخطاب و (يتلاحن) (1)، وكالذى ورد عن أن القراء الذين يقرأون القرآن بالألحان عليهم كذا وكذا من الواجبات... (2)، فالناس في عصرنا الحاضر يخصون بلفظ (لحن) وما اشتق منه الغناء العادى - 8 - وفى ظننا أن استعمال لفظ (التلحين) في هذا المقام كان

(1) زاد المعاد، وسبق الإشارة الى هذا في موضع آخر (2) أنظر: عبد الوهاب السبكي: معيد النعم ومبيد لنقم ص 110

(91/1)

مما جرأ الموسيقيين على الدعوة إلى تلحين القرآن على الآلات الموسيقية (1) وهنا نذكر أن المفتين المسلمين يعدون هذا التلحين كفرا، ينقل ابن حجر الهيتمى في كتابه (الإعلام بقواطع الإسلام) (2) أن الرافعى قال: (قالو: ولو قرأ القرآن على ضرب الدف والقضيب فهو كفر) وفي الرد على الداعين إلى استعمال الآلات الموسيقية مع قراءة القرآن، نذكر أنه حتى في الكنيسة المسيحية التى يعد الإنشاد الموسيقى من شعائرها، والتي يتعدد فيها المرتلون، وهم الأرشيد ياكون، أي رئيس الشماسة الذى يساعد الكهنة في الخدمة، ومنها إلقاء الترانيم والديا كون أو الشماس والأبو نياكون وهو معاونه

(1) راجع معلومات كثيرة عن هذه الدعوة وردنا عليها في كتابنا: الجمع الصوفى الاول للقرآن الكريم ص 338 وما بعدها (2) ص 42 ط 1293 هـ

(92/1)

والأغنستس، أو القارئ، وعمله: تلاوة فصول الكنيسة المسيحية، وهذه أهمية الإنشاد الموسيقي فيها تقرر أن (الذين يرتلون على الذبح لا يرتلون بلذة بل بحكمة (1) ويقول أحد رجال الكنيسة المصرية: (مازلت إلى اليوم موسيقى كنائس كثيرة منها القبطية واليونانية والسريانية صوتية بجته، وتوقعها على الآلات الوترية يعطى أداء هزيلا مبتورا، لا يصور اللحن تصويرا صحيحا أو حقيقيا، كما يصوره الصوت، وتوقعها على الأرغن أو البيانو يستلزم إضافة الأرموني إليها، وهي بطبيعتها لا تقبل بناتا إضافة الأرموني وإذا حاولنا فلا بد من تمزيق أوصالها وهذا معناه القضاء على طقسنا الكنسي والكنيسة اليونانية لا تستعمل آلات موسيقية قط، ولا حتى الدف والمثلث) (2)

(1) أنظر: الصفوى العسال: المجموع ص 134 دمقرس داود: تفسير قداس الكنيسة القبطية الارثوذكسية ص 19 و 20 (2) راغب مفتاح: الاحان مقال بمجلة مدارس الاحد ع ابريل 1960 ص 29 و 30

(93/1)

هذا مع بعد ما بين طبيعة النص القرآني الذى هو القمة في البلاغة، والذى هو معجز بيقين، وبين طبيعة الترانيم المسيحية التى هي من إنشاء أناس عاديين، والتى تحتاج فعلا إلى وسائل تقويها عند الإنشاد - 9 - وعندنا أنه ليس إخضاع قراءة القرآن لقواعد الموسيقى هو الذى بالتمام بايصاله إلى أعماق القلوب والأفهام، وإنما الذى يكفل هذا هو أن يكون القارئ - فوق حسن صوته والتزامه قواعد التجويد والأداء - عالما بالقرءات، والتفسير، ولسنة، والفقه، والتاريخ، والقصص، والبلاغة، والنحو، والاجتماع، والنفس،

وعجيب أن لا تتبع دعوة واحدة إلى تعليم القراءة هذه العلوم، بينما الدعوات - بسوء نية غالبا ويحسن نية أحيانا - إلى الإفادة - في قراءة القرآن - من الفنون الموسيقية، مع أن موسيقى القرآن، كما قلنا قبلا - نابعة منه، ولا حاجة بالمسلمين إلى استجلا بها إليه (1)

(1) أنظر: لبيب اسعيد: الجمع الصوتى الاول للقرآن الكريم ص 324 - 333

(94/1)

وإذا كان التلحين الموسيقي ينفع في بعض مشتملات القرآن كالوعد والوعيد، ووصف الجنة والنار، والبيان عن الرغبة والرهد... الخ، فكيف تفيد الموسيقى في إبراز المعاني في بعض آيات الأحكام من مثل ما يتصل بالنكاح، والإيلاء، والطهار واللعان، والخلع، والطلاق، والعدة، والاستبراء، والنفقة، والرضاعة، والوكالة، والإجارة، والمواريث وأحكام الصيد... الخ؟ ولقد رسم الزركشي الوسائل الطبيعية إلى أكمل الترتيل، فقال صمنا: (فمن أراد أن يقرأ القرآن بحال الترتيل، فليقرأه على منازله: فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم) (1) ومن تلك الوسائل (أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظه بلسانه) (2)، وأن يتجاوب مع كل نداء أو أمر أو نهى معه، ويجب أن يقرأ قراءة المتذكر المذكر

(3)

(1) البرهان ج 1 ص 450 - 452 (2) نفس المرجع (3) نفس المرجع

(95/1)

وكما يقول الزركشي أيضا: (ولحصول القارئ على الفتح عند الفتح العليم)، يجب الاستعانة (بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق والوعيد بالتخويف والانذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتا بالقرآن) (1) ومن وسائل تحصيل حلاوة القرآن ما نقله الشعراني عن مسلم بن ميمون الخواص، فقد كان يقول: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة فقلت لنفسي: إقرئيه كأنك تسمعيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت حلاوته ثم أردت زيادة، فقلت: أقرئيه كأنك تسمعيه من جبريل عليه السلام ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم، فزادت حلاوته ثم قلت: إقرئيه كأنك تسمعيه من رب العالمين، فجاءت الحلاوة كلها (2)

(1) نفس المرجع ج 2 180 و 181 (2) الشعراني: الطبقات الكبرى ج 1 ص 2 (ط الحلبي سنة 1954)

(96/1)

الفصل الثامن حوك سماع القرآن قال تعالى: (وإذا قرى القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (1) عن أبي هريرة: كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت (2) وقال سعيد بن المسيب: كان المشركون

يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن والغرا فيه) (3) فأنزل الله جل وعز جوابا لهم:

(1) الاعراب / 204 (2) أنظر: الحسن النيسابوري: غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج 9 ص 111
(3) سورة فصلت / 36

(97/1)

(وإذا قرى القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) (1) والصحيح القول بعموم السنة في الاسماع للقران والإنصات له، لقوله (لعلكم ترحمون)، والتخصيص يحتاج إلى دليل (2) (قال العلماء: ظاهرا الأمر للوجوب، فمقتضاه أن يكون الاسماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وهو قول الحسن وأهل الظاهر (3) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع القرآن من غيره، وأمر عبد الله بن مسعود، فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه (4) والمسلمون يرون أن حسن الإسماع هو بالضرورة طريق الانتفاع بالقرآن، فهو لا بد منه، وهو في الدرجة الثانية

(1) الانصات: السكوت للاستماع والاصغاب والمراعاة أنظر: القرطبي: الجامع لاحكام القرآن ج 7 ص 354 (2) أنظر: القرطبي: المرجع السابق (3) الحسن النيسابوري: المرجع السابق (4) ابن القيم: زاد المعاد ج 1 ص 189

(98/1)

بعد حسن الأداء الذى هو طبعا في المرتبة الأولى (1) - 2 - ومن أدب الإسلام قوله تعالى: (ياأيها الذين ءامنوا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض النبي أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (2) (رفع أصواتهم على صوت القارئ لكلامه عز وجل أولى بأن ينهى عنه، والأدب معه فوق الأدب مع كلام النبي صلى الله عليه وسلم بالضرورة (3))

(1) أنظر: أحمد بن محمد بن عزت شاه الحنفي: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ص 16 -
نصائح الحكيم للسلطان ط الموصل سنة 1869 م.

(2) سورة الحجرات / 2

(3) عبد الوهاب حمودة: تلاوة القرآن وأستماعه - بحث في ((لواء الاسلام) ع، رمضان 1367 هـ

(99/1)

ومن الحقائق الواقعية التي لا نناقشها هنا مجبذين أو ناقدين، وانما نسجلها فحسب أن الناس فوق تأثرهم بمعاني القرآن، يتأثرون بالنغم، فأحمد ندا مثلا الذي كان (لا يأخذ في قراءته سمنا واحدا، بل لا يبرح يترجع بين فنون النغم) (1) كان (يقيم الناس ويقعدهم، ويطويهم وينشرهم، ويذيقهم المهول الرائع من الطرب والانبهار) (2) والقراء مثل المغنين يسرهم أن يتلقوا عبارات الثناء والإعجاب، وبعضهم في المحافل يتحرى المعجيين، وقد يدبر هو نفسه لوجودهم، ويظهر المعجون الطرب، فيسمع لهم ضجيج حتى في المساجد في المآتم وقد ذكروا أن يوسف المنيلوى الذي ورد له ذكر في فصل سابق، كان يسأل المستعِين عن رأيهم في قراءته التماسا لصيحات الإعجاب. وقيل في تعليل هذا إنه (كان

(1) البشرى: المرجع السابق (2) نفس المرجع

(100/1)

يعانى عقدا نفسه ربما كانت راجعة إلى ضآلة حفظه في الحياة) (1) - 4 - وسلك كثير من هؤلاء المعجيين منافر للأدب الواجب للقرآن، ولعل صاحب (تفسير المنار) أن يكون قد وصفهم وصفا دقيقا، عند تفسيره للآية الكريمة: (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وأسمع وانظرنا لكان خيرالهم وأقوم، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) (1) يقول، في شأن من يقابلون هذا التأديب القرآني باللغظ والضجيج: (إنهم يلغظون في مجلس القرآن فلا يستمعون ولا ينصتو، ومن أنصت واستمع فانما ينصت طريا بالصوت، واستلذاذا بتوقيع نغمات القارئ (وإنهم ليقولون

(1) محمود السعدني: دولة المقرئين ص 44 (2) سورة النساء / 46

(101/1)

في استحسان ذلك واستجادته وما يقولون في مجالس الغناء، ويهتزون للتلاوة، ويصوتون بأصوات مخصوصه، كما يفعلون عند سماع الغناء بلا فرق، ولا يلتفتون إلى شئ من معانيه إلا ما يروونه مدعاة لسرورهم في مثل قصة يوسف عليه السلام، مع الغفلة فيها من العبرة وإعلاء شأن الفضيلة، ولا سيما العفة والأمانة (1) ثم يقول: (أليس هذا أقرب إلى الاستهانة بالقرآن منه بالأدب اللائق الذي ترشد إليه هذه الآية الكريمة وأمثالها، وتتوعد على تركه بجعله مجاورا للكفر الذي يسوق صاحبه إلى العذاب الأليم؟) (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) (2) وثمة قصة من حى المذبح بالقاهرة تشهد بإسراف بعض

(1) تفسير المنار ج 1 ص 411 و 412 (2) سورة المؤمنون / 68 69

(102/1)

المعاصرين في مجافاة الأدب الواجب للقرآن، ومتابعتهم للنغم لالمعاني القرآنية، ومؤدى هذه القصة أن طائفين من المستمعين إلى القارئ الشيخ محمد القهاوى، في أحدا لماتم اقتتلا، لأن إحدا هما عابت صوت القارئ، فأثر ذلك الأخرى: فمات أربعة، ونقلت عربات الإسعاف أكثر من عشرة إلى المستشفيات) (1) - 5 - وقد وردت أخبار عن ترديد القارئ آية واحدة مرات كثيرة استحضارا لعظمه المتكلم، وتدبرا لكلامه، واستجلاء لمحاسنها، واستطابة لفنون الجمال فيها عللا بعد نهل: روى أبو ذر عن النبي نفسه صلى الله عليه وسلم، أنه قام ليلة بآية يرددتها (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (2)

(1) أنظر: محمود السعدني: دولة المقرئين 26 و 27 (2) سورة المائدة / 118

(103/1)

وقام تميم الدارمي بآية هي قوله سبحانه: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا لصالحات) (1) وكذلك قام بها الربيع بن خيثم ليلة (2) وفي التاريخ الحديث أن الشيخ محمود البربري القارئ الحاص لسعد زغلول ((كان مغرما بالإعادة، ولذلك كان يظل أحيانا ساعة كاملة لا يقرأ سوى آيات قليلة) (3) - 6 -

ويتصل بسوء الأدب مع القرآن ما يحكمه ابن الجوزى نوع من القراء الذين يتغنون بالقرآن، وهم (المقابريون) في أيامه، (فإنهم يهيجون الأحزان ليكثر بكاء لنساء،

(1) سورة الجاثية / 21 (2) أنظر: مختصر منهاج القاصدين لابن الجوزى (اختصار ابن قدامة
الاندلسي) (3) أنظر: محمود السعدني: دولة المقرئين ص 48

(104/1)

فيعطون على ذلك الأجرة، ولو أنهم أمروا بالصبرو لم ترد النسوة ذلك) (1) يقولون ابن الجوزى:
وهذه أصداد الشرع ويروى عن ابن عقيل أنه قال: حضرنا عزاء رجل قد مات له ولد، فقرأ المقرئ: يا
أسفى على يوسف) (2) فقلت له: هذه نياحة بالقرآن (3) - 7 - ونحن - مع مشاركتنا لتفسير
المنار أنفا - في النعمى على اللاغطين في مجلس القرآن، والمنصرفين إلى الإستلذاذ بالألحان من
دون المعاني، ومع تمسكنا الأشد بالكيفية المأثورة
للتلاوة، والأدب الكامل لهذا الكتاب الدينى العظيم، لا نرى

(1) صيد الخاطر ج 1 ص 147 (ط..دار الفكر بدمشق) (2) سورة يوسف / 84 (3) نفس
المرجع

(105/1)

إهدار الفطرة، واستنكار أن يستعيد السامع الآيات التى يريد أن يمكن فى قلبه فى قلبه لمعارفها
ولطائفها وإعجازها، وأن يزداد بها اعتبار وعلم واستنكارا، وأن يشبع من الاستمتاع بحسن بيئاتها
وجمال لفظها وفصيح أسلوبها، وعظمة معانيها، وجلال توجيهها هذا، والنفس مجبولة على التأثر
بالتناسق والتناسق والحركة المنتظمة المنكروة والنغمات ذات النسب المتعارفه وواضح أن آى القرآن
شاملة غالبا لهذا كله، وواضح أيضا أن الصوت الحسن بالقراء الواعية يزيد هذا الكتاب جلاء فلا
حرج - فى رأينا - إذا طرب الناس بسماع القرآن.
وأبدوا تأثرهم الروحانى به، وانسياقهم الوجداني معه، وعيروا عن شغلهم به، وخفيهم المنكر إلىه -
8 - ومن صور التأثر بالقرآن البكاء عن سماعه وعن قراءته وهذا البكاء هو - فيما عبر النووي -

(106/1)

عباد الله الصالحين (1) يقول تعالى مثينا على قوم:
(وإذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من مما عرفوا من الحق) (2) ويقول سبحانه:
(وقرءنا فرقناه لنقرأه على مسكث ونزلناه تنزيلا قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من
قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحن ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) (3) ويقول:
(وإذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) (4)

(1) التبيان ص 43 (2) سورة المائدة / 83 (3) سورة الاسراء / 107 و 108 (4) سورة مريم /
58

(107/1)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا (1)) ومن المأثورات
الإسلامية: أن ابن عباس قال: إذا قرأتُم سجدة (سبحن) (2)، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم
تبك عين أحدكم فليبك قلبه (3) وقالت عائشة عن أبيها أبي بكر، في قصة إجارة ابن
الدغنة له: (...وكان تريد أباه) رجلا رقيقا، إذا قرأ القرآن استبكي، فيقف عليه الصبيان والعبيد من
النساء) إذا قرأ القرآن استبكي، فيقف عليه الصبيان والعبيد من النساء) (4) ولما اشتد بالنبي صلى
الله عليه وسلم المرض، قبل له في الصلاة، فقال: مروا أبا بكر، فليصل بالناس، قالت

(1) الجمل: المفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخليفة ج 3 ص 67 ط.
مصطفى الحلبي 959 (2) سورة الاسراء / من الاية 108 (3) الجمل: المرجع السابق (4) ابن
هشام: سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم ج 1 ص 396

(108/1)

عائشة (رضى الله عنها): إن أبا بكر رجل رقيق القلب، وأنه إذا قام مقامك، لا يكاد يسمع الناس بكاءه.. فلو أمرت عمرا!... الخ (1) وصلى عمر بن الخطاب الجماعة الصبح، فقرأ سورة يوسف، حتى سالت دموعه، على ترقوته (2) وعن أبي رجاء، وقال: رأيت ابن عباس، وتحت عينيه مثل الشراك البالى من الدموع (3) وعن أبي صالح، قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق، فجعلوا يقرأون القرآن ويبيكون، فقال أبو بكر الصديق: هكذا كنا (4) وقد رووا أن قارئاً صالحاً المرني، قال: قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام،

-
- (1) رواه النجدي في صحيحه عن ابن عمر، وأنظر: ابن هشام: سيرة النبي (ص) ج 2 ص 259
(2) أنظر: النووي: المرجع السابق (3) نفس المرجع (4) نفس المرجع

(109/1)

فقال: يا صالح! هذه القراءة، فأين التكاء (1)؟ والطريقة في تحصيل البكاء فيما يقول الغزلى: (أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أو امره وزواجه، فيخزنه لا محالة، ويبكى) (2) - 9 - وقد وعى تاريخ القراءة أخبار جماعات من السلف صعقوا عند القراءة، وجماعات منهم ماتت! ذكر هذا التاريخ أن زرارة بن أو في التابعي قرأ في الصلاة حتى بلغ (فإذا نقر في الناфор فذلك يومئذ يوم عسير) (3) خر ميتاً (4) وكذلك ورد أن أحمد بن أبي الحوارى - وكان أبو القاسم الجنيد يدعوه (ريحانة الشام) - إذا قرئ عنده القرآن يصيح ويصعق (5)

-
- (1) الجمل: المرجع السابق (2) احياء علوم الدين ج 1 ص 219 (3) سورة المدثر / 8 و 9
(4) النووي: التبيان ص 14 (5) نفس المرجع

(110/1)

وقد أنكر بعض علماء المسلمين ذلك على فاعليه، ولكن النووي يقول: (والصواب عدم الإنكار إلا على من اعترف أنه يفعل تصنعاً، والله أعلم (1)

-
- (1) نفس المرجع ص 41 و 42

(111/1)

الفصل التاسع إحياء رمضان بتلاوة القرآن - 1 - في مناسبة صدور هذا البحث في رمضان، نذكر أن هذا الشهر هو عيد القرآن (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) (1) (إنا أنزلناه في ليلة القدر) (2) (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) (3)

(1) سورة البقرة / 185 (2) سورة القدر / 1 (3) سورة الدخان / 2

(112/1)

وكانما كانت فريضة صوم هذا الشهر إحياء عمليا لذكرى نزول هذا الكتاب العظيم - 2 - وقد جرى المجتمع الإسلام على تقليد صالح هو إحياء ليالي رمضان بتلاوة القرآن الكريم ولئن أصاب هذا التقليد بعض الوهن في بعض العواصم إنه لذاك جدا في الريف وعندنا في مصر تقيم الدولة بنفسها احتفالات القرآن في رمضان، وتعهد بالقراءة فيها إلى المتفوقين من القراء حفظا وأداء وصوتا ووفاء بحق القرآن، وشعورا بالواجب نحو المسلمين في البلاد الضيقة والصديقة، تبعث جمهور يتنا بأحسن قداثها إلى هذه البلادى لتحى رمضان هناك أيضا - 3 - ويصف ابن جبير احتفال المسلمين في المسجد الحرام بشهر رمضان في القرآن السادس الهجرى، فيشير إلى تأثر الناس بأصوات القراء بالقرآن، حيث يقول:

(113/1)

(..وأما المالكية، فاجتمعت على ثلاثة قراء يتناوبون القراءة...وكاد لا يبقى في المسجد زاوية ولا ناحية إلا وفيها يصلى بجماعة خلفه، فيرتج المسجد لأصوات القراءة من كل ناحية فتعابن الأبصار وتشاهد الإسماع من ذلك مرأى ومستمعا تتخلع له النفوس خشية ورقة (1) ويصف ابن بطوطة بعد قرابة قرنين نفس هذا الاحتفال، فيقول: (...وأما المالكية، فيجتمعون على أربعة من القراء يتناوبون القراءة، ويوقدون الشمع، ولا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارى يصلى بجماعته، فيرتج المسجد لأصوات القراء، وترق النفوس، وتحضر القلوب، وتمهل الأعين...) (2)

(1) رحلة ابن جبير، أو نذكره بالآخبار من اتفاقات الاسفار ص 111 (ط الشعب) (2) رحلة ابن بطوطة، أو تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ص 112 (ط الشعب)

(114/1)

4 - والقرآن مأمور بالإكثار من تلاوته، وقد أثنى الله تعالى على التاليين للقرآن، فقال: (إن الذين يتلون كتب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) (1) وطول القيام بالقرآن في غير الفرائض هو - فقها - الفضيلة فوق الواجب والمسنون: من حديث ابن عباس قال: (...فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام، فاستفتح بسورة البقرة ثم آل عمران ثم النساء، ثم المائة، حتى سمعت هذا في ركعة واحدة، والله أعلم حيث ركع) (2)

(1) سورة فاطر / 29 (2) ابن الحاج: المدخل ج 1 ص 175

(115/1)

وعن حذيفة قال، (صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فافتتح البقرة، فقلت، يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأهم، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً... الخ) (1) وروى أن بن عفان كان يقرأ في ركعة الوتر الخمسة كلها (2) - 5 - ولعله من أفضل مناسبات قراءة القرآن في رمضان صلاة التراويح، وقد حثت السنة عليها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (3)

(1) أنظر: النووي: رياض الصالحين ص 448 (ط عيسى البابي الحلبي) (2) ابن الحاج، المرجع السابق (3) عن أبي هريرة، ومتفق عليه، وأنظر: النووي: رياض الصالحين ص 450

(116/1)

وقد قالوا في تفسيرها الحديث، إن المراد بهذا القيام هو صلاة التراويح (1) ومع أن مالكا، وأبا يوسف، وبعض الشافعية كانوا يرون الأفضل أداء التراويح فرادى في البيت، فإن الشافعي، وجمهور أصحابه، وأبا حنيفة، وأحمد، وبعض المالكية وغيرهم يرون الأفضل صلاتها جماعة، كما فعله عمر ابن الخطاب، واستمر عمل المسلمين عليه، لأنه من الشعائر الظاهرة، فاشبهه صلاة العيد (2) - 6 - وقد جرى المسلمون على التماس الانتفاع والاستمتاع بالصوت الحسن بالقرآن في هذه الصلاة بصفة خاصة: 1 - كان عبد الرحمن بن الأسود بن أبي يزيد يتتبع الصوت الحسن في المساجد في شهر رمضان (3)

(1) صحيح سلم بشرح النووي ج 6 ص 29 (2) نفس المرجع (3) ابن القيم: زاد المعاد ج 1 ص

135

(117/1)

2 - وفي ترجمة موسى بن الحسن المتوفى سنة 287 هـ أنه (كان حسن الصوت بالقرآن في الفجر وفي صلاة التراويح، فلقب بذي الصوت الجيد) (1) 3 - ومحمد بن سعد بن سعيد العسال (كان من القراء المجودين الموصوفين بحسن الأداء، يقصد في رمضان لسماع قراءة في صلاة التراويح من الأماكن البعيدة) (2) 4 - وأبو محمد سبط الخياط المتوفى سنة 541 هـ (والأستاذ البارع الكامل الصالح الثقة شيخ الإقراء ببغداد في عصره... وأحد الذين انتهت إليهم رئاسة القراءة علما وعملا والتجويد علما وعملا وطربا...) (3) كان حسن القراءة في المحراب، (سيما ليالي رمضان، وكان يحضر عنده الناس لاسماع قراءة)، (وكان يحضر صوتا بالقرآن على كبر السن) (4)

(1) أنظر: ابن الجوزي: المنتظم ج 6 ص 22 (2) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج 1 ص 113 (3) ابن الجوزي: غاية النهاية ج 1 ص 434 و 35 (4) نفس المرجع، وأنظر: ابن رجب: المرجع اسابق ج 1 ص 209 و 210

(118/1)

5 - وأحمد بن محمد اللبيقي الولود سنة هـ (...كان حسن الصوت بالقران جدا، فكان الناس يهرعون إلى سماعه، سيما في قيام رمضان، في الأماكن التائية، بحيث يضيق الشارع بهم) (1) وهذا الذي نذكره ليس إلا مجرد أمثله يشير قليلها الى الكثير - 5 - ثم نستطرد، فنذكر أنه أصبح من التقاليد الثابتة أن تبدأ الأحصال الرسمية الساسية الكبرى بتلاوة القران، وكذلك أفعال عيد العلم. ولعله أن يكون لهذا أصول قديمة في الاجتماعيات الإسلامية، فابن الغوطي، إذا يحكى قصة مدرسة افتتحت في شوال سنة - 628 - هـ، يقول:..فحضر جميع المدرسين والفقهاء على اختلاف المذاهب، وقاضي القضاة...، وقرئت الختمة... (2)

(1) السخاوى: الضوء اللامع ج 2 ص 102 - الترجمة 39 (2) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ص 25 (ط الفرات ببغداد) 1351 هـ

(119/1)

وفي القرن الرابع الهجرى، كانت الدروس تبدأ بسماع القرآن من قارئ حسن الصوت وقد نقل (متز)، عند حديثه عن طريقة التعليم وتقتنذ أن (العالم كان يبتدىء درسه بحمد الله والصلاة على نبيه بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن...الخ) (1) والرحالة ابن جببر في حديثه عن مجلس الوعظ الذي كان يعقده بن الجوزى ببغداد، في ساحة قصر الخليفة، يقول: (...وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر، وأرخى طيلسانه عن رأسه، متواضعا لحرمة المكان، وقد تسطر القراء أمامه (أي اصطفوا) على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ما شاءوا، وأطربوا ما أدادوا، وباردت العيون بارسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة - وقد أحصينا لهم تسع الدموع، فلما فرغوا من القراءة - وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات - صدع بخطبته الزهراء..) (2)

(1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى - الترجمة المربية ج 1 ص 319 (الطبعة الثالثة)
(2) رحلة ابن جببر ص 160 (ط الشعب)

(120/1)

وكذلك كان من الشعائر التي تصحب الختان ختم القرآن (1) غير أنه - في الوقت الحاضر - أصبحت المآتم أهم المناسبات التي يدعى إليها القراء وبعد أن كان إحياء الأفراس بقراءة القرآن تقليدا متبعا في البلاد العربية والإسلامية، عدل جمهور هذا البلاد عن ذلك، فيما هو مشاهد، عدولا واضحا وكذلك، بعد أن كان الناس في هذه البلاد - في مناسبة استقبال العائدين من الحج - يقيمون السراذقات، ويدعون إليها القراء الضيائية لتلاوة القرآن، أصبح هذا الآن كالنادر وهكذا - ونقول هذا بمرارة - بعد أن كان سهر القارئ الصييت عند أسرة ما أمينة تهش لها القلوب، وتتصاعد بها دعاء الأحباب للأحباب، بات هذا السهر - عند أغلب مجتمعنا - شيئا لا يحب ولا يكره، بل بات عن بعض الناس شيئا مكروها يسير في ركاب المصيبة المرهوبة: مصيبة الموت

(1) أنظر دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية ص 214 و 222

(121/1)

خاتمة أما بعد، فهذا القرآن هو أساس الإسلام وقاعدته، وهو بيقين سبيل المسلمين إلى السلطان والنصر في الدنيا، وإلى الفوز والسعادة في الآخرة، وهو الكتاب الذي حرر والإنسان من ذلة الخضوع لغير الله أعلى سلطان العلم وسلطان العقل، والذي بث الإيمان وقرر العدل وهذه الشعوب في كل الدنيا مسئولة لظالمها هي أن تسير في هذا النور المبين، وأن تعتصم بهذا الحبل المتين، وأن تقرأ القرآن وتستمعه وتتدبره، مصيبة وممسية، بعض الناس شيئا مكروها يسير في ركاب المصيبة المرهوبة: مصيبة الموت

(1) أنظر دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية ص 214 و 222

(122/1)

خاتمة أما بعد، فهذا القرآن هو أساس الإسلام وقاعدته، وهو بيقين سبيل المسلمين إلى السلطان والنصر في الدنيا، وإلى الفوز والسعادة في الآخرة، وهو الكتاب الذي حرر والإنسان من ذلة الخضوع لغير الله أعلى سلطان العلم وسلطان العقل، والذي بث الإيمان وقرر العدل وهذه الشعوب في كل الدنيا مسئولة لظالمها هي أن تسير في هذا النور المبين، وأن تعتصم بهذا الحبل المتين،

وأن تقرأ القرآن وتستمعه وتتدبره، مصبحاً وممسياً، مستر شدة ومستهدية وهذه الشعوب في كل
الدنيا مسئولة أن تهب للدراسات القرآنية من مختلف نواحيها كل جهدها وكل عنايتها ولعل من
الحوافز في هذا الشأن أن بحر هذه الدراسات

(122/1)

عميق، وخيراته غير ذات حدود فالنفع محقق، والمجال نوسعة (إن هذا القرءان يهدى للتي هي أقوم،
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا) (1)

(1) سورة الاسراء / 9.

(123/1)
